

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

سيرة الأئمة

علي بن أبي طالب

الجزء الخامس



والمفاتيح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول:

علاقة الامام - معاوية

٥١
١٤
٥
٢٠٠٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الطبعة الأولى: / شوال ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣/١١م

المفكر الإسلامي نجاح الطائي

دار الهدى لإحياء التراث - بيروت - لندن

العدد المطبوع: ١٥٠٠

NAJAH AL - TAEI

BEIRUT - LONDON

najahtae@yahoo.com

الفصل لأول : من هيأ الارضية لحكم معاوية ؟

معاوية المدعوم من الحزب القرشي

وضع عمر بن الخطاب الأسس المتينة لدولة معاوية بن أبي سفيان بطرق مختلفة، يدعمه في ذلك كعب الأحبار وطلقاء مكة، وقد وصل معاوية إلى حكم الشام بناءً على الاتفاق الحاصل بين رجال السقيفة مع أبي سفيان بإعطاء الشام لبني أمية طعمة لهم .

ولم يهتم عمر للاعتراضات الموجهة ضده جراء توليته معاوية الشام، وهو ابن ١٨ عاماً^(١)، بينما عارض عمر أمر الرسول ﷺ بتولية اسامة بن زيد حملة الشام وهو في ذلك العمر!!^(٢)

وعارض عمر وصول الإمام علي ﷺ إلى الخلافة وعمره ثلاثون عاماً^(٣). وقد ذكر القرآن الكريم آية في ذم بني أمية:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^(٤).

ولعن النبي ﷺ معاوية وعتبة وأبا سفيان^(٥) ولعن النبي ﷺ بني أمية^(٦). وقال عمر للمغيرة: أما والله ليعورن بنو أمية الإسلام، كما أعورت عينك

(١) كثر العمال ١٢ / ٦٠٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٦٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٣ / ١١٥ .

(٤) الاسراء ٦٠، الدر المنثور، الدلائل للبيهقي .

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ١٠٢، المفاحرات، الزبير بن بكار .

(٦) المستدرک، الحاكم ٤ / ٤٨٠ .

هذه، ثم ليعمينه، حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجي^(١).

لكنَّ عمر نفسه وضع الأسس لملك معاوية فقد وصفه بكسرى العرب^(٢)، وأنه خير الناس، ووصف أباه (رأس الكفر) بعد فتح مكة بأنه سيد قريش، ووصف أمه آكلة كيد حمزة سيّد الشهداء وصاحبة راية الفساد بأنها كريمة قريش^(٣) ولم يوضح كرمها في أي موضوع؟

بينما جاء بان الفاكه بن المغيرة المخزومي قد أتهمها بالزنا فبانت منه، وقالوا: بأنَّ معاوية من أربعة وهم عمارة بن الوليد ومسافر بن عمرو وأبو سفيان والعباس بن عبد المطلب^(٤).

وبايح الرسول ﷺ نساء مكة، على أن لا يشركن ولا يسرقن، فلما تكلمت هند بنت عتبة، قال الرسول ﷺ: وان لا تزنين. فقالت هند: وهل تزني الحرّة، فضحك عمر حتى استغرق^(٥).

وقد هدّد عمر رجال الشورى (زعماء المسلمين) بمعاوية الذي لم يبلغ العشرين من عمره؟! قائلاً: احذروا آدم قريش وابن كريمة، من لا يبيت إلا على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو مع ذلك يتناول ما فوق رأسه من تحت قدمه^(٦). وروي على لسان عمر حديثاً نبوياً كرامة لمعاوية، جاء فيه: سمعت رسول

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ٣ / ١١٥، الموفقيات، الزبير بن بكار.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر ٣ / ٤٧٢.

(٣) وقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمتلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدن الأذان والأنوف، حتى اتخذت هند من أذان الرجال وأنوفهم خدماً (وهي الخللخال) وقلائد، البداية والنهاية، ابن كثير ٤ / ٤٢.

(٤) ربيع الأبرار، الزمخشري ٣ / ٥٥١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ / ١١١، تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي ٢٠٢ طبعة النجف.

(٥) تاريخ الطبري ٢٢٧ / ٢، سيرة ابن كثير ٢ / ٦٠٢، البداية والنهاية ٤ / ٢٦٥.

(٦) كنز العمال، المتقي الهندي ١٢ / ٥٨٦ ح ٢٧٥٠٧، البداية والنهاية ٨ / ١٢٢.

الله ﷺ يقول (في معاوية): اللهم أهد به^(١).

ولما ولي عمر معاوية الشام قال الناس: ولي حدث السن، فقال: تلو موني في ولايته وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهد به^(٢)

ومناقب معاوية باطلة جميعاً، كما قال النسائي في كتابه خصائص الامام علي عليه السلام. وعن اسلم مولى عمر قال: قدم علينا معاوية، وهو ابيض نص وباص، أبيض الناس واجملهم، فخرج الى الحج مع عمر، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه، ثم يضع اصبعه على متن معاوية، ثم يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: يخ يخ نحن اذا خير الناس، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة^(٣).

ووصف عمر معاوية بالمصلح^(٤)، بينما كان معروفاً في المجتمع بأنه أعظم مفسد في الارض! والنبي ﷺ لعنه أمام الصحابة.

وبين معاوية في رسالته لمحمد بن أبي بكر عمل أبيه في تأسيس الحكم الأموي قائلاً: «أبوك مهّد مهاده، وبني للملكه وساده، فإن يك ما نحن فيه صواباً فابوك استبدّ به ونحن شركاؤه»^(٥).

رسالة معاوية إلى الإمام عليه السلام

وقال معاوية بن أبي سفيان في رسالته لعلي عليه السلام: لقد عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك البحر وتنفسك الصعداء وابطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الفحل المخشوش.

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٢٠.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) البداية والنهاية ٨ / ١٢٢.

(٤) كنز العمال ١٢ / ٦٠٦ ح ٢٧٥٤٩.

(٥) مروج الذهب، المسعودي ٣ / ١٣.

وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي الحسن والحسين يوم بويج أبو بكر فلم تدع أحداً من أهل بدر السوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك واذلت إليهم بابنيك واستنصرتهم فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة^(١).

ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيحك: لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضت القوم^(٢).

إذن فلاحظ قول معاوية: قادوا علياً عليه السلام للبيعة كالجمل المخشوش.

ولما جئني بعلي بن أبي طالب عليه السلام إلى أبي بكر قيل له بايع.

فقال عليه السلام: وإن لم أفعل فه؟ فقيل: إذن والله نضرب الذي فيه عيناك.

قال علي عليه السلام: إن تقتلوني فأنا عبد الله وأخو رسوله.

فقال عمر: أما عبد الله فنعمة وأما أخو رسول الله فالتراب بفيك.

فقال عليه السلام: يا بن صهاك لولا كتاب من الله سبق لعلمت أيننا الاذل، فاصفر

وجه عمر ولم يقدر أن يتكلم^(٣).

وقال الإمام علي عليه السلام لمعاوية: لعمر الله لقد أردت أن تدم فمدحت وأن تفضح

فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في

دينه ولا مرتاباً بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها^(٤).

(١) شرح النهج ٢ / ٦٧، كتاب وقعة صفين، نصر بن مزاحم ١٨٢، مروج الذهب، المسعودي ٤١٤ / ١، الإمامة والسياسة ١٢ / ١، بيت الأحزان، القمي ١٠٠.

(٢) صفين، المنقري ١٦٣.

(٣) البحار ٨ / ٥٣ طبع حجري.

(٤) يحتج الإمام علي عليه السلام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق ومعاوية المناق لا حاجة للاحتجاج إليه. نهج البلاغة ٣ / ٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٧، البحار ٢٩ /

٦٢١، العقد الفريد ٢ / ٢٨٥، صبح الأعشى ١ / ٢٢٨، موسوعة الإمام علي عليه السلام، ري شهري ٤٠٠ / ٥.

جواب الإمام عليه السلام إلى معاوية

أما بعد، فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنًا وكفرتم^(١)، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها^(٢)، وبعد أن كان أنف الإسلام^(٣) كله لرسول الله ﷺ حزباً.

وذكرت أتي قتلت طلحة والزبير، وشردت^(٤) بعائشة، ونزلت بين المصريين^(٥)، وذلك أمرٌ غبت عنه فلا عليك، ولا العذر فيه إليك^(٦).

وذكرت أنك زائري في جمع المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك^(٧)، فإن كان فيك عجلٌ فاسترفه^(٨) فإنني إن أزرك فذلك جديرٌ أن يكون الله إنما بعثني إليك للثقة منك^(٩)، وإن تزرنني فكما قال أخو بني أسد:

(١) قال عليه السلام: « لعمرى إنا كنا بيتاً واحداً في الجاهلية، لأننا بنو عبد مناف، إلا أن الفرقة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله محمداً ﷺ، فإننا آمننا وكفرتم، ثم تأكدت الفرقة اليوم بأننا استقمنا على منهاج الحق وفتنتم ».

(٢) كرهاً: أي من غير رغبة، فإن أبا سفيان إنما أسلم قبل فتح مكة بليدة، خوف القتل، وخشية من جيش النبي ﷺ البالغ عشرة آلاف ونيفاً.

(٣) أنف الإسلام: كناية عن أشراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح، أو في أول الإسلام، يقال: كان ذلك في أنف دولة بني فلان، أي في أولها، وأنف كل شيء أوله وطرفه.

(٤) شردت به: سمع الناس بعيوبه، أو طرده وفرق أمره.

(٥) المصران: الكوفة والبصرة.

(٦) أي هذا أمرٌ غبت عنه، فليس عليك كان العدوان الذي تزعم، ولا العذر إليك لو وجب علي العذر عنه.

(٧) يقول عليه السلام: ليس معك مهاجر لأن أكثر من معك ممن رأى رسول الله ﷺ هم أبناء الطلقاء، ومن أسلم بعد الفتح، وقد قال النبي ﷺ: « لا هجرة بعد الفتح ». وأخوه يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح، أما أخوه عمرو بن أبي سفيان فقد أسر يوم بدر.

(٨) فاسترفه: فعل أمر، أي استرح وكن ذارفاهية، ولا تستعجل.

(٩) أي إن غزوتك في بلادك فخليق أن يكون الله بعثني للانتقام منك، وإن زرتني - أي إن غزوتني - في بلادك كما قال أخو بني أسد ...

مستقبلين رياح الصَّيف تضر بهم بحاصب^(١) بين أغوار^(٢) وجلمود^(٣) وعندى السيف الذي أعضضته بجدك^(٤) وخالك وأخيك في مقام واحد. فإِنَّكَ والله ما علمت^(٥) الأغلغ القلب^(٦) المقارب العقل^(٧)؛ والأولى أن يقال لك: إِنَّكَ رقيت سلباً أطلعك مطلع سوءٍ عليك لا لك، لَأَنَّكَ نشدت غير ضالَّتكَ^(٨)، ورعيت غير سائمتك^(٩)، وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه، فما أبعد قولك من فعلك! وقریب ما أشبهت من أعمام وأحوال! حملتهم الشقاوة وتميَّ الباطل على الجلود بمحمدٍ ﷺ فصرعوا مصارعهم^(١٠) حيث علمت، لم يدفعوا عظيماً، ولم يمنعوا حريماً، بوقع سيوفٍ ما خلا منها الوغى^(١١)، ولم تماشها الهويى^(١٢).

وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليّ، أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى؛ وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللب في أول الفصال^(١٣)، والسلام لأهله.

(١) ريح حاصب: تحمل الحصباء، وهي صغار الحصى.

(٢) الأغوار: جمع غور، وهو ما سفل من الأرض. وإذا كانت الريح الحاصب بين أغوار، وكانت مع ذلك ريح صيف كانت أعظم مشقة.

(٣) الجلود - بالضم -: الصخر.

(٤) أعضضته: أي أعضضت رؤوس أهلك به، وجدّه عتبة بن ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأخوه حنظلة، قتلهم علي عليه السلام يوم بدر، والسيف ذو الفقار.

(٥) «ما» خير إن، أي أنت الذي أعرفه.

(٦) الإغلغ القلب: الذي لا بصيرة له، كأن قلبه في غلاف، لا يدرك، ولا تنفذ إليه المعاني. والإغلغ خير بعد خير.

(٧) مقارب العقل: ناقصه ضعيفه.

(٨) الضالة: ما فقدته من مال ونحوه.

(٩) السائمة: الماشية من الحيوان.

(١٠) أي سقطوا قتلى في مطارحهم حيث تعلم، أي في بدر وخيبر وغيرهما من المواطن.

(١١) الوغى: الحرب، أي لم تزل تلك السيوف تلمع في الحروب ما حلت منها.

(١٢) أي لم تصحبها ولم ترافقها المساهلة، يصنفها بالسرعة والمضي في الرؤوس والأعتاق.

(١٣) الخدعة: ما تصرف به الصبي عن اللبن وطلبه في أول فطامه.

الإمام عليه السلام يفصح عن مظلوميته

وقد جاء في جوابه عليه السلام على رسائل معاوية التي اتهمه فيها بالحسد والبغى على الخلفاء والاشترار بدم عثمان:

«وزعمت أني للخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت، فإن كان ذلك كذلك فليست الحياة عليك ليكون العذر لك، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها، وقلت أني كنت أقاد كما يقاد الفحل المخشوش حتى أبايع، فلعمرك الله لقد أردت أن تدم فدمحت وأن تفصح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً في يقينه، وهذه حجتي على غيرك قصدها ولكن أطلقت لك منها بقدر ما سنح لي ذكرها، وأما ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله، أمن بذل له نصرته فاستفعده واستكفه، أمن استنصره فترأخى عنه وبث المثون إليه حتى أتى قدره عليه، وما كنت لا اعتذر من أني كنت اتقم عليه احداثاً، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهديتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المنتصح، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله».

وكان معاوية قد قال له في بعض رسائله مهدداً ومتوعداً: ليس لك

ولأصحابك إلا السيف.

فرد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في رسالة ثانية بقوله: «وأما ما ذكرت من أنه ليس لي ولأصحابي إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار، متى أفتيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين، فالبث قليلاً يلحق الهيجا حمل وسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زمامهم ساطع قتامهم متسريلين سريال الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها بأخيك وخالك وجدك وأهلك وما هي من الظالمين

بعبيد»^(١).

ويدعي المؤرخون أن الرسائل توالت بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية بن هند، ومعاوية يكذب ويماطل ويطلب اعتزال الإمام وإعادة الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا لأنفسهم، ودار كلام بين معاوية وابن العاص فقال ابن العاص: «أعجب الأشياء أن يغلب الحق المبطل معرضاً بالصراع الذي دار بين علي ومعاوية، ففهم قصده معاوية وأدرك أنه يعنيه وحده بذلك، فرد عليه بقوله: أعجب الأشياء أن يعطى الإنسان ما لا يستحق لا سيما إذا كان ممن لا يخاف منه».

ابن العاص ومعاوية: علي عليه السلام كالنجم في الثريا

ولابن العاص موقف آخر يدل على أنه لم يكن يرى معاوية على شيء وأنه لم يتردد في حق علي عليه السلام وفضله لحظة واحدة من الزمن ولكن المصلحة كانت عنده فوق كل شيء.

فقد روى المؤرخون أن معاوية لما استولى على مصر أخذ يماطل ابن العاص في الوفاء بما عاهده عليه فبعث إليه ابن العاص بقصيدة يقول فيها:

معاوية الفضل لا تنس لي وعن منهج الحق لا تعدل
نصرناك من جهلنا يا ابن هند على السيد الأعظم الأفضل
وما كان بينكما نسبة فأين الحسام من المنجل
وأيسن الثريا وأيسن الثرى وأيسن معاوية من علي

يبين هذا الشعر الصادر من داهية قريش الفاسق ابن العاص سوء نيته ونية معاوية تجاهه، فالإثنان باغيان ومناققان بنص الحديث النبوي.

ويريدان تحقيق مآربها الشيطانية بشتى السبل والوسائل دون مراعاة

(١) نهج البلاغة ٣/ ٣٥، شرح النهج ١٥/ ١٨٣.

لاصول اخلاقية وأسس دينية. فلاققت الجماهير المسلمة منها الولايات وعاصرت الصعوبات. وانكفأت الاوضاع على الطاغية ابن العاص فتأمر عليه معاوية فقتله وسلبه الشام التي رشاه بها لدخوله في معركة صفين^(١).

وفي رسالة معاوية لمحمد بن ابي بكر اعتراف منه بفضل الامام علي عليه السلام اذ قال: كُنَّا فِي زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ اَنَا وَابُو بَكْرٍ وَعُمَرُ نَنْظُرُ إِلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَالنَّجْمِ فِي الثَّرِيَا^(٢).

لماذا أصبر الإمام علي عليه السلام على عزل معاوية؟

لم يعين رسول الله ﷺ شخصاً من بني أمية الطلقاء في الحكم وخالفه في نهجه المذكور أبو بكر وعمر وعثمان.

فهؤلاء الثلاثة تركوا أهالي بيعة العقبة والمهاجرين إلى الحبشة والمهاجرين الأوائل إلى المدينة ومجاهدي بدر ثم بايعوا الكفار المعاندين للإسلام الذين أسلموا قهراً وقوة مثل يزيد بن أبي سفيان وعتبة بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل.

ولما هرب المسلمون من ظلم قريش وقهرها لحقهم إثنان من طغاة مكة إلى الحبشة هما عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة لقتلهم هناك.

فعين عمر هذين الإثنين ولاة على أفريقيا واليمن، وترك مهاجري الحبشة، أقلاباً يعد هذا مخالفة منه للمنهج النبوي في تفضيل السابقين على اللاحقين.

ثم ألحق عمر معاوية والياً على الشام وعين الوليد بن عقبة الفاسق والياً على

(١) مروج الذهب، المسعودي ٣/ ١٣، الكافي، الكليني ٨/ ٢٤، شرح النهج ١/ ٢٨، تحف العقول ٩٩، مكاتيب الرسول، الأحمدى ١/ ٦٢١، البحار ١٧/ ٧٩.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٣/ ١١.

الجزيرة^(١).

وطرد ولاية النبي ﷺ عن مناصبهم مع سابقتهم في الإسلام وتجربتهم في الإدارة والجهاد ورضا سيد الرسل ﷺ عنهم .
فأحدث هذا ضجة في المجتمع الإسلامي لرفض المسلمين ولاية هؤلاء الفسقة وشكواهم المستمرة منهم .

فعاوية أحياناً سنة الأكاسرة الكفرة وأظهر سنهم في الترف والإسراف وأيدته عمر . والمعيرة بن شعبة أحياناً سنة عرب الجاهلية ، في الزنا بأباً جميل وغيرها وطمس العفة والشرف والحياء .

فتار عليه مسلموا البحرين وطرده^(٢) .

فكان الأجدد بعمر أن يطرده أيضاً لمخالفة النبي ﷺ والشعب له ، ولأعماله المنبوذة لكنه استمر على علاقته به ونقله حاكماً على البصرة .

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٧ ، تاريخ دمشق ٦٣ / ٢٤٢ ، الإصابة ٧ / ١٢٦ ، البداية والنهاية ٧ / ١٧٠ .

(٢) صحيح مسلم ٧ / ١٢٣ ، شواهد التنزيل ، الحسكاني ٢ / ٤١٤ ، ١ / ١٨٧ ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٢ / ٨٦ ، روضة الواعظين ، النيسابوري ٩٠ ، المسترشد ، الطبري ٥٨٨ ، شرح الأخبار القاضي المغزي ١ / ١٠٤ ، الإرشاد ، المفيد ١ / ١٧٥ ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٤ ، البحار ٣٧ / ١٨٨ ، العمدة ، ابن بطريق ١٠٠ ، أسباب النزول ، الواحدي ١٥٠ ط مصر ، خصائص الوحي المبين ، ابن بطريق ٨٨ ، بشارة المصطفى ، محمد بن علي الطبري ٢٧٦ ، مسند أحمد ٤ / ٢٨١ ، تاريخ بغداد ٨ / ٢٩٠ ، ورواه الترمذي وابن ماجه والنسائي ، الصواعق المحرقة ٤٣ ، سؤ العالمين ١ / ٣٧ ، ذخائر العقبى ٨٢ ، الملل والنحل ، الشهرستاني ٧٠ ، تفسير الثعلبي ١ / ٢١٧ ، تفسير القمي ، الآية ، تفسير الفيض الكاشاني ٢ / ٥١ ، تفسير البرهان ١ / ٤٨٨ ، تفسير السيوطي ٢ / ٢٥٢ ، تفسير الآلوسي ٦ / ٦١ ، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ، الكوفي ٢ / ٣٨٢ ، نزول القرآن ، أبو نعيم الأصبهاني ٨٦ ، فرائد السمطين ١ / ١٥٨ ، البداية والنهاية ، ابن كثير ٥ / ٢١٣ ، ما نزل من القرآن في علي عليه السلام ، الجبري ٤٤ ، ما نزل من القرآن في علي عليه السلام ، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ٣٦ ، مجمع الهميضي ٩ / ٢٠٧ ، كنز العمال ٦ / ٣٩٢ .

وفي البصرة واصل أعماله الفاسدة والمشبوها فاشتهر عنه الزنا وخاصة بأباً جميل فشاهده أربعة رجال بالجرم المذكور .

وجاءوا إلى المدينة لغرض الشهادة المذكورة أمام عمر لكنه استمر في الدفاع عنه فطلب من الشاهد الرابع زياد بن أبيه الامتناع عن الشهادة فامتنع .

وهكذا كان معاوية فهم على نهج واحد متمثل في إمكانية مخالفة الأحكام الإسلامية . لذا لم يول النبي ﷺ أحداً من رجال السقيفة المذكورين فلم يحصل أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابن العاص والمعيرة والأشعري وابن عوف وابن الجراح على منصب من مناصب الولايات الإسلامية .

وكان معاوية بن أبي سفيان على درجة كبيرة من الخطورة غير ملتزم بعهد وغير مرتبط بعقيدة .

فكيف يولّه الإمام علي عليه السلام على ولاية الشام الكبيرة .

ولقد أراد معاوية الحصول على شرعية من الإمام علي عليه السلام كي تصبح أعماله الفاسدة شرعية .

وأكبر دليل على غدر معاوية ومكره عدم التزامه بالمعاهدة السلمية التي عقدها مع الإمام الحسن عليه السلام التي تعاقدها فيها على عدم المساس باتباع الإمام الحسن عليه السلام وأن تكون الخلافة للحسن عليه السلام من بعد معاوية ، فقتل معاوية الإمام الحسن عليه السلام^(١) ولم يعط الخلافة للحسين عليه السلام بل أعطها ليزيد الفاجر .

ثم قتل أتباع الإمام علي عليه السلام وعلى رأسهم عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي وأصحابه^(٢) .

فخالف معاوية كل بنود الاتفاق المذكور وهو جواب للذين طالبوا الإمام علياً عليه السلام بعقد اتفاق مع معاوية وتعيينه والياً على الشام .

(١) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب ٣ / ٢٠٣ ، الصراط المستقيم ٢ / ١٧٧ .

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٨٠ ، البحار ١٠ / ١٠١ .

وكذلك كان أبو سفيان غادراً فاجراً كاليهود فقد عقد معاهدة الحديبية ثم هجم ليلاً على قبيلة خزاعة المتحالفة مع النبي ﷺ وقتلهم^(١).
وكذلك كان حفيده يزيد بن معاوية عاصياً لكل النظريات الإسلامية فقد واصل درب أبيه وذبح الإمام الحسين عليه السلام وأهله وصحبه. وذبح الصحابة الأنصار وزنا بالكثير من مسلمات المدينة وختم أعماله بإحراق الكعبة^(٢).
وكذلك كان مروان بن الحكم المرتكب للموبقات في زمن عثمان والمبايع للإمام عليه السلام في خلافته ثم نقض بيعته وشارك في معركة الجمل.
وبعدما أسر وجاءوا به ذليلاً إلى الإمام طالب بإعادة بيعته.
فحرّره الإمام عليه السلام من الأسر وطرده ورفض بيعته لغدره قاتلاً عن يده: إنهما يد يهودية غادرة^(٣).

وفعلًا استمرّ مروان إلى نهاية عمره غادراً فاجراً لا يراعي حرمة ولا يحترم ناموس. فقاد عملية اغتيال معاوية بن يزيد، ولما بايعوا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان قتله مروان في أثناء صلاته على معاوية بن يزيد^(٤).
وهكذا وصل مروان إلى الحكم على جماجم المسلمين مثلها وصل معاوية إليه!

واقترح ابن عباس على الإمام عليه السلام بقوله: وله شهراً واعزله دهرًا^(٥).

(١) سنن مسلم ٣ / ١٤١٨، نيل الاوطار، الشوكاني ٨ / ١٦٥، الخصال، الصدوق ٢٧٦، البحار ١٠٤ / ٣١.

(٢) شذرات الذهب ١ / ٧١، شرح أصول الكافي، المازندراني ٦ / ٢٧١، الغارات ٢ / ٤٦٠، تاريخ السبطي ٢١٨، مناقب الإمام الحسن ٢٣٥، الكنى والألقاب ١ / ٨٣.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٧٣.

(٤) حياة الحيوان الكبرى، الدميري ٢ / ٨٩، مروج الذهب، المسعودي ٣ / ٧٢-٧٣، تاريخ الخلفاء، السبطي ص ٢٤٦، البداية والنهاية ٨ / ٢٦١.

(٥) شرح النهج ١٠ / ٢٢٢.

فهو من أخطاء ابن عباس لأنه لم يعلم درجة فساد معاوية ودهائه فاعتقد إمكانية الغلبة على معاوية بالدهاء والمكر.
أمّا الإمام علي عليه السلام فعارف بفساد معاوية المطلق وشيظنته العالية فلم يدخل عليه من باب المكر.
لأنّ الإمام عليه السلام لا يحبّ هذا الباب ولا يخوض غماره مثلما فعل سيّد الأنبياء ﷺ لأنه لا يليق بالأنبياء والمرسلين.
ولحرمة هذا الموضوع الذي قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: لولا التقي لكنت أدهى العرب^(١).
إذن تعيين معاوية شهراً ثمّ عزله يعتبر من المكر والأنبياء والأوصياء لا يكرهون.

قال تعالى عن الفاسدين: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ».
لذا قال الإمام علي عليه السلام للمغيرة بن شعبة: والله لا أداهن في ديني ولا أُعطي الرياء في أمري.
ولا يريد الإمام عليه السلام أن يتحمّل وزر أعمال معاوية لفترة قصيرة قاتلاً: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً^(٢).

رسائل الإمام إلى الأشعري ومعاوية

وجاء في رسالة الإمام عليه السلام إلى معاوية:

«من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد فقد علمت:

(١) الكافي، الكليني ٨ / ٢٤، شرح النهج ١ / ٢٨، تحف العقول ٩٩، مكاتيب الرسول، الأحمدى ١ / ٦٢١، البحار ١٧ / ٧٩.
(٢) الإمامة والسياسة ١ / ٦٧، تاريخ الطبري ٤ / ٤٤٠، مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٣٦٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٠٦.

عذاري فيكم وإعراضي عنكم حتى كان ما لا بدّ منه ولا دفع له والكلام كثير وقد أدير ما أدير وأقبل ما أقبل فبايع من قبلك وأقبل إليّ في وفد من أصحابك . والسلام^(١)».

وكتب الإمام عليه السلام إلى معاوية وإلى أبي موسى وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذي كان والراضي بالذي قد كان ومن بين ذلك حتى كان علي عليه السلام على المواجهة (على معرفة) من أمر أهل الكوفة وكان سفير علي عليه السلام إلى أبي موسى معبد الأسلمي .

وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سيرة الجهني فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يجبه وردّ رسوله وجعل كلّما تنجز جوابه لم يزد على قوله :

أدم إدامة حصن أوجدنا بيدي حرباً ضرّوساً تشبّ الجزل والضرما
في جاركم وابنكم إذ كان مقتله شنعاء شبيبت الأصداخ واللمما
أعسى المسود بها والسيدون فلم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما
وجعل الجهني كلّما تنجز الكتاب لم يزد على هذه الآيات حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية برجل من بني عباس ثمّ أحد بني رواحة يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً محتوماً عنوانه من معاوية إلى علي فقال إذا دخلت المدينة فأقبض على أسفل الطومار ثمّ أوصاه بما يقول وسرح رسول علي وخرجا فقدموا المدينة في ربيع الأول لغرّته فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره وخرج الناس ينظرون إليه ففترّقوا إلى منازلهم وقد علموا أنّ معاوية معترض ومضى حتى يدخل على علي فدفع إليه الطومار ففضّ خاتمه فلم يجد في جوفه كتابة فقال للرسول ما وراءك قال آمن أنا قال نعم إنّ الرسل آمنة لا تقتل قال ورائي إنّي تركت قوماً لا يرضون إلاّ بالقود قال ممّن قال من خيط نفسك وتركت ستين ألف

شيخ يبكي تحت قبص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق .
فقال الامام :مَنّي يطلبون دم عثمان ألسنت موتوراً، اللهم إنّي أبرأ إليك من دم عثمان^(١).

وأرسل الإمام عليه السلام سهل بن حنيف والياً إلى الشام فلقبته خيل معاوية في تبوك فقالوا من أنت ؟

قال : أمير .

قالوا : على أي شيء ؟

قال : على الشام .

قالوا : إن كان عثمان بعثك فأهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع .

قال : أو ما سمعتم بالذي كان ؟

قالوا : بلى ، فرجع إلى علي عليه السلام^(٢).

(ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية) إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسّموه إماماً كان ذلك لله رضى ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه ، فإن أباي قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولّى ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان ، ولتعلمنّ أنّي كنت في عزلة عنه إلاّ أن تتجنّني^(٣) فتجنّ ما بدا لك والسلام .

(ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً) «أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة^(٤)،

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٦٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٤٤٢ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٠٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٢٩ .

(٣) تجنّني كتوتني ادعى الجنابة على من لم يفعلها . وتجنّ ما بدا لك أي تستره وتخفيه .

(٤) موصلة بصيغة المفعول ملققة من كلام مختلف وصل بعضه ببعض على النباين ، كالشوب

(١) نهج البلاغة ، الكتاب ٧٥ ، البحار ٣٢ / ٣٦٥ ، ٣٤٠ .

ورسالة محبرة ثمقتها بضلالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده ، قد دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فأتبعه فهجر لا غطاً^(١) وصلّ خاطباً (منه) لأنّها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر^(٢) ولا يستأنف فيها الخبار . الخارج منها طاعن ، والمروي فيها مداهن .

(ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبدالله البجلي لما أرسله إلى معاوية) «أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل^(٣) ، وخذه بالأمر الجزم ، ثمّ خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية ، فإن اختار الحرب فانبذ إليه ، وإن اختار السلم فخذ بيعة والسلام .» (ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية) «فأراد قوماً قتل نبيّنا واجتياح أصلنا^(٤) وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ، ومنعونا العذب ، وأحلسونا الخوف ، واضطرونا إلى جبل وعر ، وأوقدوا لنا نار الحرب ، فعزم الله لنا على الذبّ عن حوزته^(٥) ، والرمي من وراء حرمة . مؤمننا يبني بذلك الأجر ، وكافرنا يحامي

على المرقع ، ومحبرة أي مزينة . وثمرتها حسنت كتابتها وأمضيتها أنفذتها وبعثتها ، وكتاب عطف على موعظة .

(١) هجر : هذى في كلامه ولغا . واللفظ الجلية بلا معنى .

(٢) لا ينظر فيها ثانياً بعد النظر الأول ، ولا خيار لأحد فيها يستأنفه بعد عقدها . والمروي هو المتفكر هل يقبلها أو ينبذها ، والمداهن المنافق .

(٣) الفصل الحكم القطعي . وحرب مجلية أي مخرجة له من وطنه . والسلم المخزية الصلح الدالّ على العجز . والخطل في الرأي الموجب للخزي . فانبذ إليه أي اطرح إليه عهد الأمان وأعلنه بالحرب . والفعل من باب ضرب .

(٤) يحكي معاملة قريش للنبي عليه السلام في أول البعثة . والاجتياح الاستئصال والإهلاك . وهموا الهموم : قصدوا نزولها . والأفاعيل : جمع أفعولة : الفعلة الرديئة والعذب هتئ العيش . وأحلسونا : أزمونا . واضطرونا : ألجأونا . والجبل الوعر الصعب الذي لا يرقى إليه كناية عن مضايقة قريش لشعب أبي طالب حيث جاورهم بالعداوة وحلفوا لا يزوجونهم ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم ، وكتبوا على ذلك عهدهم عداوة للنبي عليه السلام .

(٥) عزم الله : أراد لنا أن نذبّ عن حوزته ، والمنراد من الحوزة هنا الشريعة الحقّة . ورمى من وراء الحرمة : جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها فهو من ورائها أو هي من ورائه .

عن الأصل . ومن أسلم من قريش خلّوا ممّا نحن فيه بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه ، فهو من القتل بمكان أمن^(١) وكان رسول الله ﷺ إذا احمرّ البأس^(٢) وأحجم الناس قدّم أهل بيته فوق بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنة . فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر^(٣) ، وقتل حمزة يوم أحد ، وقتل جعفر يوم مؤتة . وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة^(٤) ، ولكن آجالهم عجّلت ومنيته أجلّت . فبها عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسمع بقدمي ، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها إلا أن يدعي مدّع ما لا أعرفه ، ولا أظنّ الله يعرفه والحمد لله على كلّ حال وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك فإني نظرت في هذا الأمر فلم أراه يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، ولعمري لئن لم تنزع عن غيِّك وشقاقك لتعرفتهم عن قليل يطلبونك ، ولا يكلفونك طلبهم في برّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل ، إلاّ أنّه طلب يسوءك وجدانه ، وزور لا يسرّك لقيانه والسلام لأهله^(٥) .

مطامع معاوية في الشام ومصر

قال معاوية لسفير الإمام عليه السلام : « اكتب إلى صاحبك أن يجعل لي الشام ومصر

جباية^(٦) . » وبالتالي ، فعلى الذين يتحدلقون ، ويقولون : إنّ علياً لا يعرف السياسة أن يدرسوا التاريخ ، ويذكروا هذه الحقيقة ، وينظروا إلى معاوية نظرهم إلى ابن

(١) كان المسلمون من غير آل البيت آمنين على أنفسهم إمّا بتحالفهم مع بعض القبائل أو بالاستناد إلى عشائرتهم ان كانت قوية .

(٢) احمرار البأس اشتداد القتال ، والوصف لما يسيل فيه من الدماء . وحرّ الأسنة بفتح الحاء : شدّة وقعها .

(٣) عبيدة ابن عمّه وحمزة عمّه وجعفر أخو الإمام . ومؤتة بضمّ الميم بلد في حدود الشام .

(٤) من لو شئت يريد نفسه .

(٥) نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام ٧ / ٣ .

(٦) أحاديث أمّ المؤمنين عائشة نقلت عن شرح ابن أبي الحديد ، وأعيان الشيعة نقلت عن نصر بن

العاص ، لأنّ الرجلين من طينة واحدة ، وعلى مبدأ واحد ، مبدأ الكسب والمساومة ، وارتكاب الجرائم والمآثم من أجل المناصب والمراكز .
قال أحد المستشرقين :

« كان معاوية مخادعاً داهية ذا قلب خال من كلّ شفقة . كان ذلك الأموي لا يتهيب الإقدام على أية جريمة من أجل أن يضمن مركزه »^(١) .
أما أمير المؤمنين فهو القائل : والله إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضّمها . ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى ؟!

القدرة العسكرية الهائلة لمعاوية من وراؤها ؟

اعتمد أبو بكر على الجيش في كبح جماح أعدائه فأناط مهمة ذلك إلى صاحبه وخليه خالد بن الوليد .

فسلم مقاليد الجيش الكثيف له فتمكّن خالد من تدمير المعادين لأبي بكر في شبه جزيرة العرب تحت كلّ عنوان كانوا من مرتدين ومخالفين وغير ذلك .

ثمّ انتقل خالد بذلك الجيش الكبير إلى العراق وكانت علاقة خالد بعمر سيّئة للغاية لأنّ أمّه حنتمة كانت جارية عند هشام بن المغيرة عمّ خالد وكان عمر عبداً عند الوليد بن المغيرة والد خالد ومنذ تلك الأيام ساءت العلاقة بين الجانبين . وكان خالد من خطّ أبي بكر في الحزب القرشي .

ولمّا اشتدّ الصراع بين أبي بكر وعمر على السلطة لعدم اتفاقهم على مدة زمنية محددة لحكم البكر وألح عمر على تنحيّ أبي بكر عنها لم يعر أبو بكر له أهمية لوجود خالد زعيماً لجيش العراق .

ولمّا وافق أبو بكر على ذهاب جيش خالد إلى الشام بإلحاح عمر تمكّن عمر

(١) روح الإسلام لسيد مير علي ص ٢٠٥ .

هناك من إنجاز مشروعه . فهناك اتفق على خطة خطيرة مع الداهية أبي عبيدة بن الجراح على عزل خالد بأمر أبي بكر المزور .

وكان أبو بكر ميسراً وعمر هو الذي كتب الرسالة على لسانه فعزله وفشلت خطة أبي بكر في الاعتماد على جيش خالد لإجهاض المؤامرات المعادية .

ثمّ اعتمد عمر على معاوية وعبدالله بن أبي ربيعة في إجهاض الأعمال المعادية للدولة فكان معاوية في الشام وابن أبي ربيعة في اليمن .

ولم يعتمد عمر على قائد واحد في العراق بل قسم العراق إلى البصرة والكوفة لخوفه من تجمّع جيش العراق بيد رجل واحد .

أما معاوية فكان عمر يريد الزعامة المستقبلية له فجمع الشام له وحده في حين قسم أبو بكر الشام إلى عدّة زعامات وعدّة جيوش^(١) .

فتمكّن معاوية من تنظيم هذا الجيش في مدّة حكمة الطويلة على الشام وسلطته المطلقة هناك .

ولمّا جاء عثمان استفحلت سلطة معاوية هناك وقويت فعصى معاوية أوامر عثمان الصادرة إليه بإرساله جنداً إلى المدينة للدفاع عنه .

وبعد هذا العصيان لم يجرؤ عثمان على عزله لأنّ هذا الأمر لا ينفع أيضاً .
وبعدما قتل عثمان برزت دولة معاوية المستقلة في الشام أكثر فأكثر .

وكيف لا تبرز وهي دولة مستقلة منذ زمن عمر القائل في معاوية كسرى العرب^(٢) . فالجيش في الشام على طاعة كاملة لمعاوية ومستقلّ تماماً عن العاصمة الإسلامية ، وقادة جيوشه كلّهم على الخطّ الأموي ومتنعمين بأموال معاوية .

وهذه الرواية تبيّن حال عمر ومعاوية إذ قال عمر لمعاوية : لئن أطعته

(١) شرح الأخبار ، القاضي المغربي ٢ / ٨٨ ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٩ طبعه أوربا ، مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٤٨ .

(٢) الاستيعاب ، ابن عبد البر ٣ / ٤٧٢ .

لتدخلني النار^(١).

وقال الأحمسي: كانت لي حاجة إلى عمر بن الخطاب فغدوت لأكلمه فيها، فسبقتني إليه رجل فكلّمه، فسمعت عمر يقول له: لئن أطعتك لتدخلني النار، فظفرت فإذا هو معاوية^(٢).

واستمرّ عمر في طاعته لمعاوية فجاء بعثان إلى الحكم كي يبقى معاوية في الشام وتتهيأ الأمور لحكومته.

ومات عمر وواليه على الشام معاوية وهو أقوى الولاة وأعظمهم قدرة وسطوة ومالاً.

وكان عمر يعتقد أن معاوية هو الامتداد الطبيعي لمنهجه وسيرته وأهدافه. وفعلاً كان معاوية على نهجه تماماً فعمر الذي منع الإمام علي عليه السلام من الوصول إلى السلطة سنة ١١ هجرية قتله معاوية سنة ٤٠ هجرية.

وكانت أمية هند بنت عتبة الأولى بعد قتلها حمزة وأكلها كبده مقتل علي عليه السلام. فدعا عمر إلى قتله بعد السقيفة وعارضه أبو بكر وتمكّن معاوية من تحقيقه سنة ٤٠ هجرية.

إذن كانت غاية عمر ومعاوية وهند إبعاد أمير المؤمنين عن الخلافة وقتله. فلم تتمكّن هند من ذلك في معركة أحد يوم وعدت وحشياً بتمكينها من نفسها ان قتل علياً او حمزة وفشل عمر عن تحقيق ذلك بعد السقيفة وحققه معاوية. وأشدّ الناس فرحاً بهذا القتل كانت عائشة وحفصة^(٣).

وهكذا تمكّن رجال الحزب القرشي من قتل فاطمة وعلي عليه السلام وبقي الحكم في

(١) الشيخان، البلاذري، ٢١٩.

(٢) الشيخان، البلاذري، ٢١٩ طبع مؤسسة الشرايع - الكويت.

(٣) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج، ٢٦، الأمالي، الطوسي، ١٦١، الصراط المستقيم، العاملي، ٣ / ١٦٤، الجمل، المدني، ٢٦، البحار، ٣٢ / ٢٤٠، شرح النهج، ٤ / ٢٤٩.

أيديهم يتداولونه من يد إلى يد من زمن مقتل رسول الله ﷺ فحكم الأمويون مدة طويلة حتى ملأوا من الإدارة والسلطة.

وفي طول هذه المدة كانت الحكومات تذللّ الشيعة وتمنعهم حقوقهم المالية وتقتلهم وتنفيمهم عن بلدانهم وتسلبهم حقوقهم السياسية والاجتماعية والسياسية.

ولما ألح أصحاب الإمام علي عليه السلام للإسراع في حرب معاوية قال: إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير البجلي (سفيره) عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقت لجريز وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً، والرأي عندي مع الأناة فأردوه ولا أكره لكم الإعداد.

ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره ويطنه فلم أر لي فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء به محمد ﷺ^(١).

فأراد الإمام عليه السلام إعطاء فرصة أخيرة لمعاوية وأتباعه في السلام كي تسقط حججهم وتقوى حجج أتباعه وجنده.

أما عن البقاء في الكوفة ومحاربة معاوية أو الذهاب إلى الشام لهذا الأمر فقد قال بعض أصحابه بالبقاء في الكوفة.

وقال الأشتر وعدي بن حاتم الطائي وشرح بن هاني الحارثي وهاني بن عروة أن ليس في حرب أهل الشام أخوف من الموت وإيائه نريد.

فاطلع الإمام علي عليه السلام على رغبات أصحابه ثم قرّر المسير إلى الشام^(٢).

دعاء النبي ﷺ على معاوية

وقد دعا النبي ﷺ على معاوية فقال:

(١) نهج البلاغة الخطبة ٤٣، البحار، ٣٢ / ٣٩٣.

(٢) الإمامة والسياسة، ١ / ١١٤، تاريخ دمشق، ٥٩ / ١٣٠، الفتوح، ٢ / ٥٠٥.

لا أشبع الله بطنه^(١).

فأصبح بديناً وبطيناً فسُمي بالأبطن والبطين وهي معجزة دعاء النبي ﷺ عليه فعرف معاوية بالبطين، لكن الامويين وضعوا هذا اللقب على الإمام ﷺ !! ورأى رسول الله ﷺ أبا سفيان ومعاوية وأخاه أحدهما قائد والآخر سائق فقال ﷺ: اللهم العن القائد والسائق والراكب^(٢).

وقال النبي ﷺ: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه^(٣).

وقال الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتراؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه - يزيد - سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالظنابير - أي العود وهو من آلات اللهو - وادعائه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حجراً - وهو أحد الصحابة العباد - وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر! ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر!^(٤).

الفصل الثاني معركة صفين

معجزة الماء في صفين

قصة خروج الماء في هذه الرواية أقل ما يذكر عن المعاجز الإلهية التي أعطاها تعالى لوصي المصطفى علي عليه السلام فكراماتهم كثيرة عرفها القريب والبعيد وهي امتداد لكرامات رسول الله ﷺ وباقي الأنبياء والأوصياء.

في حين استمر الملحدون والمنافقون في نكران هذه الكرامات الإلهية التي وعد بها الباري عز وجل عباده المخلصين.

وعن قتبية بن الجهم قال لما دخل^(١) علي عليه السلام إلى بلاد صفين نزل بقرية يقال لها صندودا^(٢) فعبّر عنها وعرج بنا في موضع أرض بلقع فقال له مالك بن الحارث الأشتر نزلت على غير ماء قال إن الله تعالى يسقينا في هذا الموضع ماءً أصفى من الباقوت وأبرد من الثلج فتعجبنا - ولا عجب من قول أمير المؤمنين عليه السلام - فوقف على أرض فقال يا مالك احتفر أنت وأصحابك فاحتفرنا فإذا نحن بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة تبرق كاللجين فلم نستطع أن نزيلها فقال علي عليه السلام اللهم إني أسألك أن تمدني بحسن المعونة وتكلم بكلام حسبناه سريانياً ثم أخذها فرمى بها فظهر لنا ماء عذب فشربنا منه وسقينا دوابنا ثم ردّ الصخرة وأمرنا أن نحثو عليها

(١) ذكر حديث الصخرة ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ٤٤٢ ط إيران وقال أنه ذكره أهل السير عن حبيب بن الجهم وأبي سعيد التميمي والتطنزي في الخصائص والأعم في الفتح والطبري في كتاب الولاية بإسناد له عن محمد بن القاسم الهمداني، وذكره أبو عبدالله البرقي عن شيوخه عن جماعة من أصحاب علي عليه السلام.

(٢) قال في المراصد (صندودا): قرية كانت في غربي الفرات فوق الأنبار خربت وبها مشهد لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) تاريخ الطبري ١٠ / ٥٨، البداية والنهاية ٨ / ١١٩، صحيح مسلم ٤ / ٩٦، فتوح البلدان ٦٦٣، دلائل النبوة، البيهقي ٦ / ٢٤٣.

(٢) البحار ٣٣ / ١٩٠، وقعة صفين ٢٢٠.

(٣) وقعة صفين ٢١٦، تاريخ دمشق ٥٩ / ١٥٦، تهذيب التهذيب ١ / ٦٣٧، أنساب الأشراف ١٣٦ / ٥.

(٤) دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي، تحقيق حسن السقاق ١٠٢، تاريخ الطبري ٥ / ٢٧٩، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٩٩.

التراب فلما سرنا غير بعيد قال عليه السلام من يعرف منكم موضع العين قلنا كلنا نعرف فرجعنا فخبني علينا أشد خفاء فإذا نحن بصومعة راهب فدوننا منها ومنه فقلنا هل عندك ماء فسقانا ماءً مرةً جشياً فقلنا له لو شربت من الماء الذي سقانا منه صاحبنا من عين ههنا قال صاحبكم نبي قلنا وصي نبي فانطلق معنا إلى علي عليه السلام فلما بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام أنت شمعون قال نعم هذا اسم ستمتي به أُمِّي ما أطلع عليه أحد إلا الله ثم قال الراهب ما اسم هذه العين قال الامام: عليه السلام عين (راحوما) من الجنة شرب منها ثلاثمائة نبي وثلاثمائة وصي وأنا خير الوصيين شربت منها قال الراهب هكذا وجدت في جميع الكتب أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وإنك وصي محمد (١).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجتا بين يديه (٢)، ثم قال له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبغضاء من الله وقدره؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام أجل يا شيخ ما علوتم تلعلة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر، فقال له الشيخ: عند الله أحتسب عنائي (٣) يا أمير المؤمنين؟ فقال له: مه يا شيخ! فوالله لقد عظم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين. فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين. وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال له: أو تظن أنه كان قضاءً حتماً وقدرًا لازماً؟ إنه لو كان كذلك

(١) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي ١١٩.

(٢) جثا يجثو وجثياً بضمهما جلس على ركبتيه وقام على أطراف أصابعه. والتلعلة ما ارتفع من الأرض.

(٣) أي منته أطلب أجر مشقتي.

لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمداً للمحسن وكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن وكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة وبجوسها. إن الله تبارك وتعالى كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يملك مفوضاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (١) فأشأ الشيخ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا (٢)

(١) مسألة القضاء والقدر من أقدم الأبحاث في تاريخ الإسلام، اشتغل به المسلمون في أوائل انتشار الدعوة الإسلامية وتصادفها مع أنظار الباحثين من علماء الملل والأديان، ولما كان تعلق القضاء بالحتم بالحوادث ومن بينها بالأفعال الاختيارية من الإنسان يوجب بحسب الأنظار العامية ويطلق غالباً على التكبر والتطاول وعلى الظلم، قال الله تعالى: ﴿تبغون في الأرض بغير الحق﴾.

وقال: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾. ﴿ومن بغي عليه لينصرته الله﴾ ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم﴾ ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي﴾.

وقد روي أن شخصاً طلب المبارزة في صفين فنهاه أمير المؤمنين عن ذلك وقال: إنه بغي ولو بغي جبل على جبل لهذ الله الباغي ولما كان الظلم مذكوراً بعد ذلك فالمراد به التطاول والتكبر فإتتهما موجبان لرفع النعمة وسلب العزة كما حسب الله بها قارون وقد مر أن التواضع سبب للرفعة والتكبر يوجب الذلّة. أو المراد به البغي على الإمام أو الفساد في الأرض. والذنوب التي تورث الندامة القتل فإنه يورث الندامة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى في قابيل حين قتل أخاه ﴿فأصبح من النادمين﴾.

والتي تنزل النقم الظلم كما يشاهد من أحوال الظالمين وخراب ديارهم واستئصال (الكافي) ٢ / ٤٤٨.

(٢) الكافي، الكليني ١ / ١٥٥.

منع معاوية الماء عن الامام وجنده في صفين

ذكر المسعودي بأن معاوية عسكر في موضع سهل أفح اختاره قبل قدوم علي عليه السلام على الشريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عالية، ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً^(١). واستولى معاوية على الماء في صفين ونزل أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الوادي الفسيح أيضاً في مكان لا يبعد عنه كثيراً، وحال معاوية بين أهل العراق والماء، ومنعهم أن يشربوا منه ولو قطرة واحدة فأضربهم وبدوا بهم العطش، وأرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام إننا لم نأت هذه الأرض لنسيطر على الماء والكلأ، ولو سبقتناكم إليه لا تمنعكم منه عبر رسوله صعصعة بن صوحان: ابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم.

فقال عمرو بن العاص: خل بينهم وبين الماء فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريان. فیدعی بعد الرواة أن ابن العاص حاول أن يقنع معاوية بأن يخلي بينهم وبين الماء ولكن معاوية أصر على موقفه وقال: هذا والله أول الظفر لا سقاني الله أن شربوا منه حتى يغلبوني عليه، وصاح أصحابه من كل مكان: والله لا تذوقون منه ولا قطرة حتى تموتوا عطشاً.

ودعا الوليد بن عقبة وعبدالله بن أبي سرح إلى منعهم شرب الماء.

فقال صعصعة بن صوحان: إنما يمنعه الله عز وجل يوم القيامة الكفرة الفسقة وشربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعني الوليد بن عقبة. قال: فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه. فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنه رسول.

وأرسل معاوية الخيل ليكفهم عن الماء.

أراد معاوية قتل عشرات الآلاف من المؤمنين عطشاً في هذه المعركة الشهيرة

(١) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٣٧٥.

محققاً للإسلام وسحقاً للدين الحنيف.

وقال: ما ظنك يا معاوية لو منعك علي بن أبي طالب من الماء كما منعته أنت، اترك ضاربهم كما ضربوك، ومضى يقول: إن علياً لا يستحل منك ومن جيشك ما استحلتم منه.

هذا وعلي عليه السلام على ما يبدو من أكثر الرويات التي وصفت تلك الأحاديث كان كارها للحرب بهذه السرعة ويود أن يعود إلى محاولاته السابقة التي تهدف إلى جمع الكلمة وإتمام الحجة، ولكن موقف معاوية وأنصاره من الماء اضطره إلى استعمال القوة لاتخاذ عشرات الألوف ممن كان معه من الموت عطشاً، فأرسل الأشتر النخعي في كتبية من عسكره، فاستبسوا استبسالا لا نظير له واستعادوا الماء من أهل الشام في ساعات قليلة، فوقف ابن العاص موقف الشامت من معاوية لأنه لم يقبل نصيحته كما جاء في رواية ابن قتيبة.

ولما انتصر جيش الإمام علي عليه السلام ووصلوا إلى الماء قال معاوية لعمر بن العاص: يا أبا عبدالله ما ظنك بالرجل أترأه يمنعنا الماء لمنعنا إياه؟ وقد كان (معاوية) انحاز بأهل الشام إلى ناحية في البر نائية عن الماء.

فقال له عمرو: لا، إن الرجل جاء لغير هذا، وإنه لا يرضى حتى تدخل في طاعته، أو يقطع جبل عاتقك، فأرسل إليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعه واستقاء الناس من طريقه ودخول عسكره، فأباحه على كل ما سأل^(١).

اذ جاء: لَمَّا انتصر جيش الإمام علي عليه السلام وسيطر على شريعة الماء قال أصحابه: والله لا نسقيهم. فأرسل إليهم علي عليه السلام أن خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم وخلوا عنهم، فإن الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيبهم^(٢). لقد كان جنود معاوية من المسلمين فأراد علي بن أبي طالب عليه السلام أن يبين

(١) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٥٦٨، ٥٦٩، حوادث سنة ٣٦ هجرية، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ /

لهم بأن حربه لهم حرب مبادئ لا حرب ماء وطعام ، فلم يترجع عنهم يوم منعهو الماء بل حاربهم وانتصر عليهم ثم سمح لهم بشرب الماء والاستفادة منه كما يشرب منه جيشه^(١)

وبينا سار معاوية على نظرية آبائه وأصحابه في بدر والحديبية سار الإمام علي عليه السلام على منهج الأنبياء والأوصياء في حرمة قتل الناس عطشاً .

وهي نظرية إلهية أخلاقية لا يفعلها المنافقون والكافرون أبداً .

في حين سار عليها النبي محمد ﷺ في بدر ومشى عليها وصيه وخليفته علي عليه السلام في صفين ، ونهج هذا المنهج الإمام الحسين عليه السلام قبل معركة كربلاء التي ذبحوه فيها عطشاً .

فرغم العطش الحاد الذي تعرض له جيش الإمام علي عليه السلام في صفين سمح الإمام عليه السلام لهم بأخذ ذلك الماء بعدما سيطر عليه .

فتعجب جند الشام من أخلاق الإمام الراقية وشيمه العالية مقابل صفات معاوية السلبية الجاهلية .

وقال أصحاب الإمام اللهم أحقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به . ولما استبطأ أصحابه أذن لهم بالقتال واتهمه بعضهم بالتردد في أسر أهل الشام ، قال : « فوالله ما أبالي أدخلت على الموت أو خرج الموت إلي ، وأما قولكم أشكا في أهل الشام : فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا اطعم أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو على ضوئي وذلك أحب إلي من أن اقاتلها على ضلالها وإن كانت

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(١) وقعة صفين ١٩٦ ، ٢٠٢ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧ ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٥ ، ١٠ / ٤٨ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧ ، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢ ، الفتح ٢ / ٥٤٤ ، تاريخ الطبري حادثة صفين .

تبوء بآثامها» .

ثم قال :

« اللهم إنك تعلم لو أني أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم انخني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت أني لا أعلم عملاً صالحاً هذا اليوم هو أرضي لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو كنت اعلم عملاً هو أرضي لك منه لفعلت » .

ومضى يقول : « اللهم رب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام ومدرجاً للهوم وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق اعتماداً إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا بالحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة يا أرحم الراحمين » .

وقت المعركة

في سنة ٣٦ هجرية حدثت معركة الجمل التي انتصر فيها جيش أمير المؤمنين عليه السلام انتصاراً باهراً أعاد إلى الأذهان انتصارات المسلمين في بدر وبني قينقاع والنضير وخيبر وحنين .

فبعد انتصار جيش الإمام علي عليه السلام على الناكثين في حرب الجمل تحرك صوب صفين وذلك بعد مرور أربعة أشهر على تلك الحرب الضروس التي قتل فيها عشرون الف مسلم ، أي حربان في سنة واحدة .

فقيادة الحزب القرشي التي حاربت رسول الله ﷺ في مكة والمدينة لا تتوقف عن حقدتها الدفين على الإسلام وتسعى لإطفاء جذوته فخرج وصي المصطفى من الكوفة صوب الشام في شوال سنة ٣٦ هجرية ووصلت إلى صفين عند ضفاف نهر الفرات في شهر ذي القعدة من تلك السنة^(١) .

(١) مروج الذهب ، المسعودي ٢ / ٣٨٤ ، وقعة صفين ١٣١ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٥ ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٣ .

وقيل في خمس مضت من شوال من تلك السنة حضرت تلك القوات في أرض معركة صفين^(١). ولم يبدأ أمير المؤمنين علي عليه السلام بحرب القاسطين في صفين إلى أن بدأوه وهي سيرة سيّد الرسل مع أعدائه.

فعلي عليه السلام لا يبدأ الحرب ولا يطلب البراز ولو طلبوا منه أجاب.

وبدأت الحرب في شهر ذي الحجة سنة ٣٦ واستمرّت في محرّم واشتدّت في صفر سنة ٣٧ هجرية وتحطّم جيش معاوية فيها وبالذات في ليلة الهرير وفي العاشر من صفر توقفت الحرب بمؤامرة ابن العاص والأشعث برفع المصاحف، واللجوء إلى الحكيمين^(٢).

والمشهور أنّ تعداد جيش الإمام علي عليه السلام كان تسعين ألفاً^(٣).

وتعداد جيش معاوية تسعون ألفاً^(٤).

فقتل في المعركة من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً^(٥).

وقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً^(٦).

وعن جيش معاوية فقد كان الضحّاك بن قيس الفهري في قلب الجيش

(١) راجع تاريخ أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى سنة ١٧٠ وتاريخ نصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢ هجرية.

(٢) وقعة صفين ١٩٦، ٢٠٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧، تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٥، ٥ / ٤٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠، ٢٧٣.

(٣) وقالوا ٩٥ ألفاً و ١٢٠ ألفاً و ١٥٠ ألفاً، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧، البداية والنهاية ٧ / ٢٦١، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢، مروج الذهب ٢ / ٣٨٤، الفتح ٢ / ٥٤٤، تاريخ الطبري حادثة صفين.

(٤) معجم البلدان وقيل مائة الف، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧ ومائة وعشرين ألفاً، معجم البلدان ٣ / ٤١٤ وقالوا خمسة وثمانين ألفاً، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢.

(٥) البداية والنهاية ٧ / ٢٧٥، مروج الذهب ٢ / ٤٠٥، أنساب الأشراف ٣ / ٩٨، تهذيب الكمال ٢١ / ٢٢٦، موسوعة الإمام علي عليه السلام ٥ / ٢٨٦.

(٦) المصادر السابقة.

وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد صاحب اللواء.

وميمنة الجيش أهالي حمص وقنسرين وعليهم ابن ذي الكلاع الحميري.

وميسرة الجيش أهل الأردن وفلسطين وعليهم حبيب بن مسلمة الفهري.

وقائد الخيالة عبيدالله بن عمر، وقائد خيالة الشام عمرو بن العاص^(١).

وكان معاوية يتجنّب الحرب مع الإمام علي عليه السلام لما يعرفه عنه من شجاعة

وإدارة رائعة وبسالة في الحروب.

فاعتمد أولاً على المداهنة والمسائلة للحصول على ولاية الشام منه على أن

يكون فيها مستقلاً فرفض الإمام عليه السلام ذلك لما يعرفه عن معاوية من أخلاق فاسدة

وديانة ملققة وأهداف دنيوية ثم لجأ معاوية إلى التهديدات الخاوية للحصول على

مآربه فلبّى الإمام ذلك وتحرك بجيشه نحو الشام.

وعبر الإمام عليه السلام بجيشه نهر الفرات فكان في الشام محل ولاية معاوية إرعاباً

منه إليه وتخويفاً لجنده ومحاولة للقضاء على سطوة معاوية.

وتبعد صفين عن دمشق ٥٠٠ كيلومتراً.

وممن شارك في صفوف الإمام علي عليه السلام ٨٠٠ ممن شهد بيعة الرضوان

(الحديبية) و ٤٠٠٠ من الصحابة و ٨٠ من أهالي معركة بدر^(٢).

ومن هؤلاء أويس القرني وسليمان بن صرد الخزاعي ومن رموز أهالي

العراق شرح بن هاني وسعيد بن قيس الهمداني وجعدة بن هبيرة وزياد بن النضر

فكان عبدالله بن عباس على المسيرة مع ربيعة والأشعث بن قيس على الميمنة مع

أهالي اليمن وعمار بن ياسر على الرجالة وصاحب اللواء هاشم بن عتبة وسهل بن

(١) وقعة صفين ٢٠٦، ٢١٣، معجم البلدان ٣٠٢، تاريخ الطبري ٥ / ١١، الأخبار الطوال ١٧٢.

(٢) المستدرک، الحاكم ٣ / ١١٢، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٨، الفتح ٢ / ٥٤٤، تاريخ دمشق ١٩ / ٤٤٢، تاريخ خليفة ١٤٨، تاريخ الإسلام، الذهبي ٣ / ٥٤٥، مروج الذهب ٢ / ٣٦١.

حنيف على خيل البصرة ومالك الأستر على خيل الكوفة ، ومضر في قلب الجيش^(١). ومن رموز أصحاب معاوية : الوليد بن عقبة ، وحبيب بن مسلمة ، ذو الكلاع الحميري ، عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، الضحّاك بن قيس ، بسر بن ارطأة^(٢).

أعظم معركة بين المسلمين أججها معاوية

بدأت حرب صفين أول ذي الحجة سنة ٣٦هـ وحصلت الهدنة في المحرم سنة ٣٧هـ واستؤنف القتال في أول صفر وانتهى في ١٣ منه .
سار معاوية بن أبي سفيان على نظرية أبيه في الجد والاجتهاد لاطفاء نور محمد وآل محمد مستخدماً شتى صنوف الوسائل في هذا الدرب الابليسي ففي بدر وأحد والحنديق حارب هو وأبوه الإسلام ولما هلك أبوه واصل هو ذلك الدرب في معركة صفين .

بداية الحرب

وكان لا بد وأن يأذن لأصحابه بالقتال بعد أن استفزهم واستدرجهم إليه أهل الشام عشرات المرات وأوقعوا في صفوفهم عدداً من القتلى فأذن لهم واحتدم القتال بين الطرفين بضراوة لم يشهد لها تاريخ المعارك مثيلاً .
وكان بين الفريقين قتال بلغ أقصى حدود العنف والضراوة . لقد تقدم أمير المؤمنين ومعه من بقي حياً من المهاجرين والأنصار يتقدمهم عمار بن ياسر وصحابة

(١) وقعة صفين ، المنقري ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، تاريخ الطبري ١١ / ٥ ، الأخبار الطوال ١٧١ .

(٢) وقعة صفين ١٩٦ ، ٢٠٢ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧ ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٥٧ ، ١٠ / ٤٨ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧ ، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢ ، الفتح ٢ / ٥٤٤ ، تاريخ الطبري حادثة صفين .

معركة صفين

الرسول الابرار نحو أهل الشام وعمار ينادي بصوت يسمعه أهل الشام: والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سفقات هجر لعلنا أننا على الحق وأنهم على الباطل، ومضى يستقبل الطعن والضرب ب صدره ونحره، ثم يقف بين الصفين ويرفع كلتا يديه ويقول: اللهم لا اعلم عملاً أرضى إليك من جهاد هؤلاء القوم، ولو كنت اعلم عملاً أحب إليك من جهادهم لفعلته .

وتأثر أتباع معاوية لموقف عمار وعزمته الصادقة على مواصلة الكفاح حتى النهاية، لأن مقالة الرسول لم تعد خافية على أحد من وجوه المسلمين، وقد تداولها الناس فيما بينهم وكأنها آية منزلة، طوبى لعمار تقتله الفئة الباغية، عمار مع الحق يدور معه كيفما دار، وها هو عمار إلى جانب علي بن أبي طالب يقاتل مجزم وعناء ويقول: لا اعلم عملاً أرضى إليك من جهاد معاوية وأنصاره فعاوية ومن يساعده من البغاة بحكم رسول الله الذي لم ينطق عن الهوى، والقرآن الكريم يأمر المسلمين بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله كما جاء في الآية .

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) .

هذه الافكار قد اعترضت الكثيرين ممن غرر بهم معاوية وابن العاص واستبدت بهم الحيرة وها هو صوته العالي يدوي في كل أنحاء المعركة الرواح إلى الجنة عباد الله تقدموا فداء لكم أبي وأمي لقد أخبرني حبيبي رسول الله أن شرابي من الدنيا ضياح من لبن وتقتلني الفئة الباغية، وكاد أن يتضعع جيش معاوية ويدب فيه التخاذل وبخاصة عندما رأوا ذا الكلاع الحميري بمن معه من عشيرته وأحلافها يحاولون أن يتجنبوا المعركة ما دام عمار بن ياسر إلى جانب علي بن أبي طالب عليه السلام . وساءت الحالة وبلغ معاوية ما يدور في أوساط جيشه من أحاديث

حنيف على خيل البصرة ومالك الأشتر على خيل الكوفة ، ومضرب في قلب الجيش^(١)، ومن رموز أصحاب معاوية : الوليد بن عقبة ، وحبيب بن مسلمة ، ذو الكلاع الحميري ، عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، الضحّاك بن قيس ، بسر بن أرطأة^(٢).

أعظم معركة بين المسلمين أججها معاوية

بدأت حرب صفين أول ذي الحجة سنة ٣٦هـ وحصلت الهدنة في المحرم سنة ٣٧هـ واستؤنف القتال في أول صفر وانتهى في ١٣ منه .
سار معاوية بن أبي سفيان على نظرية أبيه في الجد والاجتهاد لاطفاء نور محمد وآل محمد مستخدماً شتى صنوف الوسائل في هذا الدرب الابليسي ففي بدر وأحد والخندق حارب هو وأبوه الإسلام ولما هلك أبوه واصل هو ذلك الدرب في معركة صفين .

بداية الحرب

وكان لا بد وأن يأذن لأصحابه بالقتال بعد أن استفزهم واستدرجهم إليه أهل الشام عشرات المرات وأوقعوا في صفوفهم عدداً من القتلى فأذن لهم واحتدم القتال بين الطرفين بضراوة لم يشهد لها تاريخ المعارك مثيلاً .
وكان بين الفريقين قتال بلغ أقصى حدود العنف والضراوة . لقد تقدم أمير المؤمنين ومعه من بقي حياً من المهاجرين والأنصار يتقدمهم عمار بن ياسر وصحابة

(١) وقعة صفين ، المنقري ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٣، تاريخ الطبري ١١/٥، الأخبار الطوال ١٧١ .

(٢) وقعة صفين ١٩٦، ٢٠٢، تاريخ ابن الأثير ٢/٣٦٧، مروج الذهب ٢/٣٨٧، تاريخ الطبري ٤/٥٧٥، ١٠/٥٤٨، البداية والنهاية ٧/٢٦٠، ٢٧٣، أنساب الأشراف ٣/٩٧، العقد الفريد ٣/٣٣٢، الفتوح ٢/٥٤٤، تاريخ الطبري حادثة صفين .

معركة صفين

الرسول الابرار نحو أهل الشام وعمار ينادي بصوت يسمعه أهل الشام : والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل ، ومضى يستقبل الطعن والضرب ب صدره ونحره ، ثم يقف بين الصفين ويرفع كلتا يديه ويقول : اللهم لا اعلم عملاً أرضى إليك من جهاد هؤلاء القوم ، ولو كنت اعلم عملاً أحب إليك من جهادهم ل فعلته .

وتأثر أتباع معاوية لموقف عمار وعزيمته الصادقة على مواصلة الكفاح حتى النهاية ، لأن مقالة الرسول لم تعد خافية على أحد من وجوه المسلمين ، وقد تداولها الناس فيما بينهم وكأنها آية منزلة ، طوبى لعمار تقتله الفئة الباغية ، عمار مع الحق يدور معه كيفما دار ، وها هو عمار إلى جانب علي بن أبي طالب يقاتل مجزم وعناء ويقول : لا اعلم عملاً أرضى إليك من جهاد معاوية وأنصاره فعاوية ومن يساعده من البغاة بحكم رسول الله الذي لم ينطق عن الهوى ، والقرآن الكريم يأمر المسلمين بقتال الفئة الباغية حتى تنفيء إلى أمر الله كما جاء في الآية .

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) .

هذه الافكار قد اعترضت الكثيرين ممن غرر بهم معاوية وابن العاص واستبدت بهم الحيرة وها هو صوته العالي يدوي في كل أنحاء المعركة الرواح إلى الجنة عباد الله تقدموا فداء لكم أبي وأمي لقد أخبرني حبيبي رسول الله أن شرابي من الدنيا ضياح من لبن وتقتلني الفئة الباغية ، وكاد أن يتضعع جيش معاوية ويدب فيه التخاذل وبخاصة عندما رأوا ذا الكلاع الحميري بمن معه من عشيرته وأحلافها يحاولون أن يتجنبوا المعركة ما دام عمار بن ياسر إلى جانب علي بن أبي طالب عليه السلام . وساءت الحالة وبلغ معاوية ما يدور في أوساط جيشه من أحاديث

(١) سورة الحجرات ٩ .

الرسول في عمار، فاستدعى إليه وزيره ابن النابغة واستشاره في الخروج من تلك الأزمة، فاجتمع إلى ذي الكلاع وغيره من قادة الجيش، وأقسم لهم بأن عمار بن ياسر سيعود إلى صفهم في النهاية وطلب منهم مواصلة القتال بانتظار الأيام القادمة التي سيرون فيها ابن ياسر تحت راية معاوية، فسكنت لذلك نفوسهم على خوف ووجل وتوالت الأيام والحرب تشتد يوماً بعد آخر وأمير المؤمنين عليه السلام ينصب بمن معه على جيش الشام انصباب الموت الصاعق لا يضرب أحداً إلا أوردته النار ولا يستقبله أحد من مشيري الفتنة الأولى عنه جباناً إلا بسوأته إذا لم ينجح الفرار.

ليلة الهرير

وجاهد أبو اليقظان عمار بن ياسر جهاد المستميت، يضرب بسيفه، ويقول: هل من رائح إلى الله، الجنة تحت ظلال الأستة، والله لو هزمونا، حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على حق، وأتهم على باطل.

واشتد العطش بأبي اليقظان، فاستسقى فأتته امرأة بعس من لبن، فشربه وقال: الله أكبر! الله أكبر! اليوم ألقى الأحبة، محمداً وصحبه، صدق الصادق، وبذلك أخبرني، هذا هو اليوم الذي وعدت فيه - يشير إلى الحديث المشهور: ياعمار آخر شرابك ضياح من لبن، وتقتلك الفئة الباغية - وحمل عليه رجلان: أبو العادية الفزاري، وابن جون السكسكي وكان قد أثنخ بالجراح، فطعنه الأول، واحترز رأسه الثاني، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة.

ولما صرع عمار حزن الإمام عليه، وغضب غضباً شديداً، وقال للأشتر: احمل أنت على المسيرة، وأحمل أنا على الميمنة، فحملاً وكان الأشتر يفتك بالناس كذئب في غم، والتقى بعمر بن العاص، ولكن عمراً فرّ، ولم يثبت له، واختلط الجمع بالجمع، واشتد القتال، واضطربوا بالسيوف، وتطاعنوا بالرماح، وفي هذا اليوم استشهد هاشم المرقال حامل لواء أمير المؤمنين، وقتل ذو الكلاع حامل لواء

معركة صفين

معاوية. قال المسعودي: لما وقع هاشم المرقال على الأرض، وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا عبيد الله بن عمر بن الخطاب إلى قربه جريماً، فحبا، حتى دنا منه، وعضه على ثدييه، وقد وجد ميتاً فوقه.

واستمر القتال طوال النهار والليل، وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة، وهي التي تسمى بليلة الهرير، وكان ابن عباس في المسيرة، والاشتر في الميمنة وعلي عليه السلام في القلب، وكان الأشتر بين الحين والحين يسير فيما بين الميمنة والمسيرة، ويأمر أهل العراق بالثبات والإقدام، وقد تحطمت في هذه الليلة السيوف، وتكثرت الرماح، ونفدت السهام، وتناثروا بالتراب، وتكادموا بالأسنان، وتلاكموا بالأيدي، ومرّت مواقيت أربع صلوات لم يسجد لله فيها سجدة، ولم يصلوا إلا بالتكبير والتهليل. قال المسعودي:

« قتل علي عليه السلام بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً، ذلك أنه إذا ضرب كبر، وما ضرب إلا قتل » واستمر القتال على هذه الحال ثلاثة أيام بلياليها، ولما رأى الإمام كثرة القتلى قال لمعاوية: علام يقتل الناس؟ ابرز إليّ، فأينا قتل صاحبه يكون الأمر له.

قال ابن العاص: أنصفك الرجل.

قال معاوية: طمعت فيها ياعمر.

قال عمرو: أتجن عن علي، وتتهمني في النصيحة؟

قال معاوية: ليس مثلي يخدع عن نفسه، والله ما بارز علي رجلاً إلا سقى

الأرض من دمه.

ثم انجلت المعركة في يوم من الأيام عن عمار بن ياسر صريعاً برح أبي العادية الجهني وعن ذي الكلاع الحميري صريعاً في نفس اليوم فأشرق لذلك وجه معاوية وقال: والله لو بقي ذو الكلاع حياً بعد مصرع عمار لمال بعامة العسكر إلى علي بن أبي طالب. وقال مولى لعمر بن الخطاب: كنت في المعارك الأولى بصفين مع معاوية بن

أبي سفيان وكان أصحابه يقولون: لا والله لا تقتل عمار بن ياسر وإن قتلناه فنحن كما يقولون، فلما قتل جثت ابن العاص وقتل له: ما سمعت من رسول الله في عمار قال سمعته يقول: تقتله الفئة الباغية فقلت هوذا مقتول فلم يصدق حتى رآه بعينه فامتقع لونه، ثم أعرض بوجهه وقال: لقد قتله من جاء به وعرضه للقتل، فأخذها منه معاوية وراح يرددها بين أصحابه.

انتصار جيش العراق

واستمر معاوية في أكاذيبه قائلاً:

أترى أن رسول الله قد عنانا بالفئة الباغية أو لساننا نحن الذين نبغي دم عثمان وتثار له فاطمأن لقوله جماعة وبقي آخرون على تردهم وحيرتهم، وإلا أن العصبية القبلية لعبت دورها في استمرار المعارك لفترة طويلة بين الطرفين وملها الفريقان حتى كانت المعركة الكبرى التي استمرت أكثر من اسبوع ليلاً ونهاراً واستبسلس فيها أهل العراق فلم يبق لأهل الشام عذر إلا انهيار ولا حجة إلا اطفئت، وبلغ عدد القتلى من الطرفين أكثر من ستين ألفاً كما يدعي بعض المؤرخين، وأوشك جيش العراق أن يحتل مضارب معاوية ويقبض عليه حياً، فدعا بفرسه لينجو عليه، هذا وأمير المؤمنين في مقدمة أصحابه مهاجماً لا يلاقي جمعا الاضعفه.

شدة الحرب والمعجزات

وشدة الحرب في صفين كانت قوية إلى درجة قيام أمير المؤمنين عليه السلام وصحبه بالصلاة ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً بالتكبير والتهليل والتسبيح والتمجيد والدعاء وخاصة ليلة الهزير. فكانت تلك صلاتهم ولم يأمرهم الإمام عليه السلام بإعادتها^(١).

(١) تهذيب الاحكام، الطوسي ٣ / ١٧٤.

في زحمة القتال كانت الصلاة بالتكبير وفي الوقوف الصلاة بالأيام ودفن الإمام علي عليه السلام عمار بن ياسر بشيابه دون تغسيل^(١).

ثم أخبر الإمام عليه السلام الناس بعض علوم الغيب في صفين مثل ظهور جنكيز خان وظهور الشاه اسماعيل^(٢). وقال علوماً كثيرة أخرى هي معجزات الهية تنفع المؤمنين فازداد يقين المخلصين وتيقن بعض المشككين.

ثم وزع الإمام غنائم صفين على المقاتلين^(٣).

ومن معجزات الإمام عليه السلام في صفين انه كلم نهر الفرات بعدما ضربه بقضيب في يده فانفجرت وسلمت عليه حيثانها وأقرت له بأنه الحججة^(٤).

وهي واحدة من أدلة كثيرة ظهرت لعلي عليه السلام في مكة والمدينة والكوفة وصفين.

عدد ما قُتل في صفين؟

وقد تنوزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين، فذكر أحمد بن الدورقي عن يحيى بن معين أن عدّة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة أيام مائة الف وعشرة آلاف من الناس، من أهل الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفاً.

وقالوا عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب، وهو خمسون ومائة الف مقاتل، سوى الخدم والأتباع، وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلاثمائة

(١) وسائل الشيعة ٣ / ٧٠١.

(٢) خاتمة المستدرک، النوري ٢ / ١٧٢.

(٣) الكافئة، المفيد ٢٧.

(٤) الصراط المستقيم، العاملي ١ / ١٠٧.

أبي سفيان وكان أصحابه يقولون: لا والله لا تقتل عمار بن ياسر وإن قتلناه فنحن كما يقولون، فلما قتل جئت ابن العاص وقتلت له: ما سمعت من رسول الله في عمار قال سمعته يقول: تقتله الفئة الباغية فقلت هوذا مقتول فلم يصدق حتى رآه بعينه فامتقع لونه، ثم أعرض بوجهه وقال: لقد قتله من جاء به وعرضه للقتل، فأخذها منه معاوية وراح يرددها بين أصحابه.

انتصار جيش العراق

واستمر معاوية في أكاذيبه قائلاً:

أتري أن رسول الله قد عنانا بالفئة الباغية أو لسنا نحن الذين نبغي دم عثمان ونثار له فاطمأن لقوله جماعة وبقي آخرون على ترددهم وحيرتهم، وإلا أن العصبية القبلية لعبت دورها في استمرار المعارك لفترة طويلة بين الطرفين وملها الفريقان حتى كانت المعركة الكبرى التي استمرت أكثر من اسبوع ليلاً ونهاراً واستبسل فيها أهل العراق فلم يبق لأهل الشام عذر إلا النهار ولا حجة إلا اطفئت، وبلغ عدد القتلى من الطرفين أكثر من ستين ألفاً كما يدعي بعض المؤرخين، وأوشك جيش العراق أن يحتل مضارب معاوية ويقبض عليه حياً، فدعا بفرسه لينجو عليه، هذا وأمير المؤمنين في مقدمة أصحابه مهاجماً لا يلاقي جمعا الاضعفه.

شدة الحرب والمعجزات

وشدة الحرب في صفين كانت قوية إلى درجة قيام أمير المؤمنين عليه السلام وصحبه بالصلاة ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً بالتكبير والتهليل والتسبيح والتجويد والدعاء وخاصة ليلة الهزير. فكانت تلك صلاتهم ولم يأمرهم الإمام عليه السلام بإعادتها^(١).

(١) تهذيب الاحكام، الطوسي ٣ / ١٧٤.

ففي زحمة القتال كانت الصلاة بالتكبير وفي الوقوف الصلاة بالأياء ودفن الإمام علي عليه السلام عمار بن ياسر بشيابه دون تفصيل^(١).

ثم أخبر الإمام عليه السلام الناس بعض علوم الغيب في صفين مثل ظهور جنكيز خان وظهور الشاه اسماعيل^(٢). وقال علوماً كثيرة أخرى هي معجزات الهية تنفع المؤمنين فازداد يقين المخلصين وتيقن بعض المشككين.

ثم ورّع الإمام غنائم صفين على المقاتلين^(٣).

ومن معجزات الإمام عليه السلام في صفين انه كلم نهر الفرات بعدما ضربه بفضيب في يده فانفجرت وسلّمت عليه حيثانها وأقرت له بأنه الحجة^(٤).

وهي واحدة من أدلة كثيرة ظهرت لعلي عليه السلام في مكة والمدينة والكوفة و صفين.

عدد ما قُتل في صفين؟

وقد توزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين، فذكر أحمد بن الدورقي عن يحيى بن معين أن عدّة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة أيام مائة الف وعشرة آلاف من الناس، من أهل الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفاً.

وقالوا عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب، وهو خمسون ومائة الف مقاتل، سوى الخدم والأتباع، وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلاثمائة

(١) وسائل الشيعة ٣ / ٧٠١.

(٢) خاتمة المستدرک، النوري ٢ / ١٧٢.

(٣) الكافّة، المفيد ٢٧.

(٤) الصراط المستقيم، العاملي ١ / ١٠٧.

الف ، بل أكثر من ذلك ، لأنَّ أقلَّ من فيهم معه واحد يخدمه ، وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والأتباع وأكثر من ذلك ، وأهل العراق كانوا في عشرين ومائة الف مقاتل دون الأتباع والخدم .

وأما الهيثم بن عدي الطائي وغيره مثل الشرقي بن القظامي وأبي مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدّمنا ، وهو أنَّ جملة من قتل من الفريقين جميعاً سبعون ألفاً : من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، فيهم خمسة وعشرون بدرياً^(١) . لذلك قال رجل من بني تميم في أبيات :

إِنَّمَا فَتَنَةٌ كَفَتَتْ ذِي الْعَجَلِ أَيَا عُرْوَةَ الْعَصَا وَالْعَصِيَّةِ
فَانظُرِ الْيَوْمَ مَا يَقُولُ عَلِيٌّ وَاتَّبِعْهُ ، فَذَلِكَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ^(٢)

بطولة علي عليه السلام في صفين

ولم يكن في منهجية الإمام علي عليه السلام طلب مبارزة أحد ، لكنّه لا يردّ طلب من يبارزه . ولم يذكر الزهري في المغازي النبوية بطولات المسلمين كي لا يذكر علياً عليه السلام فلم يذكر اسمه ولا كيف كان القتال .

وقال الفضل بن العباس بن عبدالمطلب في فضل علي عليه السلام :

وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى وَصَنُو نَبِيِّهِ وَأَوَّلُ مَنْ أُرْدِيَ الْعُوَاةَ لَدَى بَدْرٍ^(٣)
وَقَدْ شَاعَتْ فِي جَمِيعِ الْأَوْسَاطِ شَجَاعَتُهُ ، وَرَاحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا
بِإِعْجَابٍ ، وَقَدْ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أَفْرَسَ النَّاسِ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرَبٍ ، فَردّ عليهم
النَّبِيُّ ﷺ : «أَنَّ أَفْرَسَ النَّاسِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»^(٤) .

(١) مروج الذهب ، المسعودي ٢ / ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٩٣ .

(٣) الكامل في التاريخ ٣ / ١٩٠ .

(٤) رسائل الجاحظ ٢ / ٢٢٢ .

وقد شبه السيد الحميري بطولة الإمام وشجاعته بالريح العاتية التي أخذت قوم عاد بقوله :

إِذَا أَقَى مَعْشَرًا يَوْمًا أَنَامَهُمْ إِنَامَةَ الرِّيحِ فِي تَدْمِيرِهَا عَادًا^(١)

يقول ابن أبي الحديد : وأما الشجاعة فإنّه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ، ومحا اسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة . وهو الشجاع الذي ما فرّ قطّ ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلاّ قتله ، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأولى إلى الثانية .

وفي الحديث : «كَانَتْ صَرَبَاتُهُ وَتَرَأَ»^(٢) . وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابله ، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وقالت أخت عمرو بن عبد ودّ تربيته :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَكَيْتُهُ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِي جَسَدِي
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا نَظِيرَ لَهُ وَكَانَ يُدْعَى أَبُوهُ بَيْضَةَ الْبَسَلِدِ^(٣)

ومن مظاهر شجاعته أنّه كان يخرج في أيام صفين وحده بغير حماية قبيل له :
تقتل أهل الشام بالعادة وتظهر بالعشي في إزار ورداء؟ فقال عليه السلام :

«بِالْمَوْتِ نَحْوُ قُوْنِي؟ قَوْلَ اللَّهِ مَا أَبَالِي سَقَطْتُ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ سَقَطَ عَلَيَّ»^(٤) .

قال عبدالله بن عباس : لعلي عليه السلام أربع خصال لا يشاركه فيها أحد هو أوّل عربي وأعجمي صلّى مع النبي ، وهو الذي صبر معه يوم المهراس (أحد) وقد انهزم

(١) أعيان الشيعة ٢ / ١٣٦ .

(٢) وفي المثل المعروف أنّ ضربة علي تفرد المثنى وتثنى المفرد ، قال الشعبي : علي أشجع الناس تقرّ له بذلك العرب ، جاء ذلك في نور القبس المختصر من المقتبس للميرزباني :

٢٤٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١ / ٢٠ .

(٤) المعقد الفريد ١ / ١٠٢ .

الناس كلهم غيره^(١). عن عبد الله بن عباس في خير طويل أنه قال خالد بن الوليد: رأني علي عليه السلام عند منصرفي من قتال أهل الردة في عسكري وهو في أرض له وقد ازدحم الكلام في حلقة كهمة الأسد وقمعة الرعد، قال لي: ويملك أو كنت فاعلاً؟^(٢)

فقلت: أجل.

فاحمرت عيناه وقال عليه السلام: يا ابن اللخناء^(٣) أمثلك يقدم على مثلي أو يجسر أن يدبر اسمي في هواه. في كلام له، ثم قال خالد: فنكسني والله عن فرسي ولا يمكنني الامتناع منه، فجعل يسوقني إلى رحاء للحارث بن كلدة، ثم عمد إلى قطب الرحي الحديد الغليظ الذي عليه مدار الرحي، فده في عنقي بكلتا يديه ولواه في عنقي كما ينقتل الأديم، وأصحابي كأنهم نظروا إلى ملك الموت، فأقسمت له بحق الله ورسوله، فاستحي وخلي سبيلي.

قالوا: فدعى أبو بكر جماعة المدادين فقالوا: إن فتح هذا القطب لا يمكننا إلا أن نحمله بالنار فبقي ذلك أياماً والناس يضحكون منه، فقيل: إن علياً عليه السلام جاء من سفره، فأقى به أبو بكر إلى علي يشفعه في فكه.

فقال علي عليه السلام: إنه لما رأى تكاثف جنوده وكثرة جموعه أراد أن يضع مني في موضعي فوضعت منه عند ما خطر بباله وهمت به نفسه. ثم قال: وأما الحديد الذي في عنقه فلعله لا يمكنني في هذا الوقت فكه، فنهضوا بأجمعهم فأقسموا عليه، فقبض علي عليه السلام رأس الحديد من القطب فجعل يقتل منه يمينه شبرا شبرا فيرمي به. فهذه مضاهية لآية داود عليه السلام بقوله تعالى ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.

وفي رواية: أن خالداً أحدث في ثيابه وصاح صيحة منكرة وجعل يضرب

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١١١، مناقب الخوارزمي ٢١، ٢٢.

(٢) أي محاولة اغتيال الامام عليه السلام بأمر أبي بكر وبيد خالد..

(٣) اللخناء: الفاجرة.

برجليه، أعرض عن ذكرها اختصاراً. وقال بعضهم:

يا خالد اذكر صنيعه حيدر لما بعثت إليه كي تدعوه
وأردت إظهار الشجاعة عند من أجدا الشجاعة جده وأبوه^(١)

واجتمع قادة جيش معاوية وهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ومروان بن الحكم وعبدالله بن عامر وابن طلحة الطلحات وعتبة بن أبي سفيان.

فقال عتبة: إن أمرنا وأمر علي لعجب ليس منا إلا موتور محاج، أما أنا فقتل جدِّي، واشترك في دم عمومي يوم بدر، وأما أنت يا وليد فقد قتل أباك يوم بدر وأيتم اخوتك، وأما أنت يا مروان فكما قال الأول:

وأفلهنَّ علباء جريضاً ولو أدركته صفر الوطاب^(٢)

فقال معاوية: هذا الإقرار فأين العُير؟

قال مروان: أبي غير تريد؟

قال معاوية: أريد أن يشجر بالرماح.

فقال مروان: والله إنك لهازل ولقد ثقلنا عليك^(٣).

هذه الحادثة تبين الخوف الشديد من مواجهة الإمام الشجاع والمقدام

علي عليه السلام في ساحات الوغى^(٤).

وكان فارس معاوية الذي يعده لكل مبارز ولكل عظيم، حريث مولاه

يلبس سلاح معاوية متشبهاً به فإذا قاتل قال الناس: ذاك معاوية.

وإن عمرو بن العاص دعاه، فقال له: يا حريث، إنك والله لو كنت قرشياً

(١) نهج الإيمان، ابن جبر ٦٣٦.

(٢) شرح النهج ٦ / ٣١٤.

(٣) وقعة صفين ٤١٧.

(٤) وقعة صفين ١٩٦، ٢٠٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧، تاريخ

الطبري ٤ / ٥٧٥، ١٠ / ٤٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠، ٧٧٣، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧،

العقد الفريد ٣ / ٣٣٢، الفتوح ٢ / ٥٤٤، تاريخ الطبري حادثة صفين.

لاحب لك معاوية أن تقتل عليا، ولكن كره أن يكون لك حظها، فإن رأيت فرصة فاقترحم. فخرج علي عليه السلام في هذا اليوم أمام الخيل، فحمل عليه حريث. قال نصر: فحدثني عمرو بن شمر، عن جابر، قال: برز حريث مولى معاوية هذا اليوم، وكان شديداً أيدا، فصاح: يا علي، هل لك في المباراة؟ فأقدم أبا حسن إن شئت، فأقبل علي عليه السلام، وهو يقول: أنا علي وابن عبد المطلب نحن لعمر الله أولى بالكتب^(١).
منا النبي المصطفى غير كذب أهل اللواء والمقام والحجب - نحن نصرناه على كل العرب - ثم خاطبه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة، فقطعه نصفين.
فجزع معاوية على حريث جزعا شديداً، وعاتب عمرا في إغرائه إياه بعلي عليه السلام، وقال في ذلك شعراً:

حريث ألم تعلم وجهك ضائر بأن عليا للفوارس قاهر
وأن عليا لم يبارزه فارس من الناس إلا أقصدته الاظافر
أمرتك أمرا حازما فعصيتني فجدك إذا لم تقبل النصح عائر
ودلاك عمرو والحوادث جمة غرورا، وما جرت عليك المقادر
وظن حريث أن عمراً نصحه وقد يهلك الانسان من لا يحاذر^(٢)

فكان الإمام علي عليه السلام يجندل الأبطال صغيراً وكبيراً ويفني غطرستهم حين كان في بدر وعمره ٢٤ سنة ويوم حضر صفين وعمره واحد وستون سنة.
الفرسان تتساقط بين يديه وتكشف الأبطال عوراتها ولما نادى علي عليه السلام معاوية للمبارزة بال معاوية على نفسه من شدة الخوف.
وبعث علي عليه السلام يوماً من تلك الأيام إلى معاوية: لم تقتل الناس بيني وبينك؟

أبرز إلي، فأينا قتل صاحبه تولى الأمر^(١).
فقال معاوية لعمرو: ماترى؟
قال: قد أنصفك الرجل، فابرز إليه.
فقال معاوية: أتخذعني عن نفسي، ولم أبرز إليه، ودوني عك والأشعرون.
ثم قال: ما للملوك وللبراز وإنما حظ المبارز خطفه من باز ووجد من ذلك على عمرو، فهجره أياما، فقال عمرو لمعاوية: أنا خارج إلى علي غدا. فلما أصبحوا بدر عمرو حتى وقف بين الصفين، وهو يرتجز: شدا على شكتي لا تنكشف يوم لهمدان ويوم للصدف ولتيم مثله أو تنحرف والربعيون لهم يوف عصف إذا مشيت مشية العود النطف اطعنهم بكل خطي ثقف عليه ثم نادى: يا أبا الحسن، اخرج إلي، أنا عمرو بن العاص. فخرج إليه علي، فانتضى علي عليه السلام سيفه، فحمل عليه، فلما أراد أن يجلله رمى بنفسه عن فرسه، ورفع إحدى رجليه، فبدت عورته، فصرف علي عليه السلام وجهه، وتركه، وانصرف عمرو إلى معاوية.
فقال له معاوية: أحمد الله وسوداء إبتك يا عمرو^(٢).
كان الإمام علي عليه السلام كرسول الله لا ينظر إلى عورة ولا يتبع فاراً ولا يقتل جريحاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا يأخذ لباس قتيله على عكس أخلاق الناس جميعاً.
فابن العاص كشف عورته ليستريها نفسه عن القتل المحتم فتركه علي عليه السلام.
فبقي معاوية يضحك على عمرو بن العاص في كل جلسه سمر يجلسانها.
والامام علي عليه السلام مع قدراته الفذة لا يحب الترف بل عاش ومات زاهداً، إذ لما وصل عليه السلام الكوفة مع أصحابه من اشراف المسلمين استقبالهم الناس استقبالاً مشهوداً فقالوا له هل تنزل القصر (الذي بناه سعد بن أبي وقاص)؟

(١) والظاهر أن أحد أتباع الإمام اقترح ذلك على معاوية.

(٢) الاخبار الطوال، الدينوري ١٧٦.

(١) صفين ٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) شرح النهج ٥ / ٢١٥، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ١٢ / ٢٣٥، بغية الطلب، ابن النديم ٥ / ٢٢٠٠، وقعة صفين، المتقري ٢٧٢.

فقال: لا ولكني أنزل الرحبة^(١) وذكر المتخلفين عنه في حرب الجمل قائلاً:
 إلا أنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زارٍ فاهجرهم
 واسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.
 فقام إليه مالك بن اليربوعي - وكان صاحب شرطته - فقال: والله إني لارى
 المهجر واسماع المكره لهم قليلاً والله لئن أمرتنا لقتلهم.
 فقال الإمام علي عليه السلام: سبحان الله يا مال جزت المدى وعدوت الحد واغرقت
 في النزاع^(٢). وشكك البعض في قتال المسلمين فكان أبو بردة بن عوف الأزدي ممن
 تخلف عنه في الجمل فقال للإمام: يا أمير المؤمنين أرايت القتلى حول عائشة والزبير
 وطلحة بم قتلوا؟ قال عليه السلام: قتلوا شيعتي وعمالي وقتلوا أخوا ربيعة العبدي رحمه الله
 تعالى في عصابة من المسلمين قالوا: لا نتكث كما نكتتم ولا نعدر كما غدرتم فوثبوا
 عليهم فقتلوهم. فسألتهم أن يدفعوا إلي قتل أخواني أقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم
 بيني وبينهم فأبو علي. فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي، ودماء قريب من ألف رجل من
 شيعتي فقتلتهم بهم، أفي شك أنت من ذلك؟
 قال: قد كنت في شك فأما الآن فقد عرفت وأستبان لي خطأ القوم وأنت أنت
 المهدي المصيب^(٣).

ولا ادري كيف قتل الزبير وطلحة وعائشة ألف شخص في البصرة تعاقدوا
 معهم على الصلح والامان الى مجيء الامام علي عليه السلام.

من كشف عورته من الفتاق

كان سن الامام عليه السلام في بدر ٢٤ سنة و ٦١ سنة في صفين.

(١) صفين، نصر بن مزاحم ٣.

(٢) صفين ٤.

(٣) صفين، المنقري ٥.

وقد حارب علي بن أبي طالب عليه السلام في صفين كما حارب في معارك بدر وأحد
 وخيبر فهابته الفوارس من أبطال الشام.
 وذكر المسعودي معركة صفين قائلاً: وكانت ليلة الجمعة - وهي ليلة الهريز -
 فكان جملة من قتل علي عليه السلام بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً
 أكثرهم في اليوم، وذلك أنه كان إذا قتل رجلاً كبيراً، ولم يكن يضرب إلا قتل، ذلك
 عنه من كان يليه في حربه، ولا يفارقه من ولده وغيرهم^(١).
 وفي معركة صفين نادى علي عليه السلام: يا معاوية، علام يقتل الناس بيني وبينك؟
 هلم أحاكمك إلى الله فأبنا قتل صاحبه، استقامت له الأمور:
 فقال لهم عمرو: قد أنصفك الرجل.
 فقال له معاوية: ما أنصفت، وإني لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو
 أسره^(٢).
 فالظاهر أن أحد أتباع الإمام علي عليه السلام هو الذي اقترح على معاوية هذا
 الاقتراح فجبن معاوية عنه.
 ثم أقسم معاوية على عمرو مبارزة علي عليه السلام، فلم يجد عمرو من ذلك بداً
 فبرز، فلما التقيا عرفه علي وشال السيف ليضربه به، فكشف عمرو عن عورته،
 وقال مكرراً أخوك لا بطل، فحوّل علي وجهه عنه، وقال: قبحت! ورجع عمرو إلى
 مصافه^(٣).
 وفي رواية: عندما برز عمرو بن العاص لعلي عليه السلام، طعنه علي عليه السلام بسيفه،
 فكشف عمرو عن عورته، وقال: مكرراً أخوك لا بطل. فحوّل علي عليه السلام وجهه

(١) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٣٨٩.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٣٨٦.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٨٧.

وقال: قبحت^(١).

وجاء بأن علياً عليه السلام قال لعمر بن العاص: يا ابن النابغة أنت طليق دبرك أيام

عمر^(٢).

وقال علي عليه السلام لاصحابه: إنّه عمرو تلقاني بسوأته فذكرني بالرحم فصرفت

وجهي عنه^(٣).

وقال معاوية لعمر بعد انقضاء الحرب: هل غششتني منذ نصحتني؟

قال: لا. قال: بلى، والله يوم أشرت عليّ بمبارزة علي، وأنت تعلم من هو^(٤).

وبرز (علي) بسر بن أرطاة مقنعاً في الحديد لا يعرف، فناده بسر: أبرز إليّ

أبا حسن فأنحدر إليه على تودةٍ غير مكترث به، حتّى إذا قاربه طعنه وهو دارع،

فألقاه على الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتّقه بسر بعورته، وقصد

أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه عليه السلام مستدبراً له، فعرفه الأشتر حين سقط،

فقال: يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرطاة، هذا عدو الله وعدوك.

فقال: دعه عليه لعنة الله، أبعده أن فعلها؟

فقال النضر بن الحارث:

أفي كلّ يوم فارس تندبونه له عورة تحت العجاجة بادية

يكفّ بها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية^(٥)

(١) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٤٠٥.

(٢) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٩٠.

(٣) وقعة صفين، نصر بن مزاحم ٤٠٧ - ٤٠٨، تاريخ ابن كثير ٧ / ٢٦٣، البداية والنهاية ٧ / ٢٩٢.

(٤) مروج الذهب ٢ / ٣٨٧.

(٥) وقعة صفين ٤٦١، الاستيعاب ١٦٥ رقم ١٧٤، مطالب السؤل ٤٣، شرح ابن أبي الحديد ٨ / ٩٥ خطبة ١٢٤، تاريخ ابن كثير ٤ / ٢٠، البداية والنهاية ٤ / ٢٣، نور الأبصار ١٩٢ - ١٩٣.

وخرج بسر بن أرطاة يطعم في علي فضربه أمير المؤمنين عليه السلام فاستلقى على قفاه وكشف عن عورته فانصرف عنه علي عليه السلام.

فقال علي عليه السلام: ويلكم يا أهل الشام أما تستحون من معاملة المخانيث لقد علمكم رأس المخانيث عمرو. لقد رووا هذه السيرة عن أبيه وعن جده في كشف استائه وسط عرصة الحروب. فخرج غلامه لاحق ثم قال:

أرديت بسرا والغلام نايره وكل اب من عليه قادرة^(١)
فطعنه الاشتر قائلاً:

في كل يوم رجل شيخ بادرة وعورة وسط العجاج ظاهرة

ابرزها طعنة كف فاترة عمرو وبسر رهبا بالقاهرة^(٢)

وقتل الإمام علي عليه السلام أبطال الشام وهو في الواحدة والستين من عمره

الشريف حتى هربت منه الفرسان وكشفت عوراتها فقال حيص بيص:

قبح مخازيك هازم شرقي سوءة عمرو تثت سنان علي^(٣)

وبدأت حرب صفين سنة ٣٧ هجرية

وكان الإمام يقاتل في صفين كأبي مقاتل فيدخل في صفوف المقاتلين فلا

يعرفه الجند ولا يعود إلا بعد ما ينتهي سيفه^(٤).

وقُتِل في صفين خيرة الصحابة البدرين عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت

الانصاري (ذو الشهداءتين) وقتل فيها هاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص.

وابلغ الإمام عليه السلام ابنه الحسن والحسين عليه السلام ببلوغ معاوية الحكم قائلاً: يا بني

(١) المناقب ٢ / ٤٥٢.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٣٦٠.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٣٦٠، البحار ٣٢ / ٥٨٥.

(٤) شرح الأخبار ٢ / ٢.

ان للقوم مدة يبلغونها وان هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القائم عليه السلام (١).

اعتراف جندي معاوية بالخسران المبين في صفين

ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام ، استدعى النعمان بن جبلة التنوخي - وكان صاحب راية قومه في تنوخ (٢) وبهراء (٣) - وقال له : لقد هممت أن أولي قوميك من هو خير منك مقدماً ، وأنصح منك ديناً .

فقال له النعمان : إنا لو كنا ندعو قومنا إلى جيش مجموع لكان في كسع (٤) الرجال بعض الأناة (٥) ، فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة ، ورُدَيْسِيَّة (٦) شاجرة ، وقوم ذوي بصائر نافذة ! والله لقد نصحتك على نفسي ، وآثرت ملكك على ديني ، وتركت هواك الرشد وأنا أعرفه ، وحُذْتُ عن الحق وأنا أبصره ، وما وُفِّقت لرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله ﷺ وأول مؤمن به ومهاجر معه ، ولو أعطيتاه ما أعطيتناك لكان أرف بالرعية ، وأجزل في العطية ، ولكن قد بدلنا لك الأمر ، ولا بد من إتمامه كان غيباً أو رشداً ، وحاشا أن يكون رشداً ، وسنقاتل عن تين الغوطة (٧) وزيتونها : إذ حرمتنا أثمار الجنة وأنهارها . وخرج إلى

(١) البحار ٣٢ / ٢١٠ .

(٢) تنوخ : حي من اليمن (لسان العرب ٣ / ٦٥) .

(٣) بهراء : قبيلة من اليمن (لسان العرب ٤ / ٨٥) .

(٤) الكسع : أن تضرب بيدك أو برجلك بصدر قدمك على دُبر إنسان أو شيء (لسان العرب ٨ / ٣٠٩) .

(٥) الأناة : الجلم والوقار (لسان العرب ١٤ / ٤٨) .

(٦) رُدَيْسِيَّة : امرأة في الجاهلية كانت تسوي الرماح بخط هجر ، إليها نسبت الرماح الرُدَيْسِيَّة (تاج العروس ١٨ / ٢٣٢) .

(٧) الغوطة : الكورة التي منها دمشق . والغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة (معجم البلدان ٤ / ٢١٩) .

قومه ، وصمد إلى الحرب (١) .

أحقاد بدرية وأحدية وحنينية وخيبرية

قال الإمام علي عليه السلام - عند التهيؤ لقتال القاسطين - : ألا إن خضاب النساء الحنء ، وخضاب الرجال الدماء ، والصبر خير في عواقب الأمور ، ألا إنها إحن (٢) بدرية ، وضغائن أحدية ، وأحقاد جاهلية ، وقرأ :

﴿فَقَاتِلُوا أَلِيَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (٣) - (٤) .

وجاء في دعاء الندبة في وصف الإمام علي عليه السلام : ويقاقل على التأويل ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، قد وتر (٥) فيه صنديد (٦) العرب ، وقتل أباطهم ، وناولش (٧) ذؤبانهم ، وأودع قلوبهم أحقاداً بدرية ، وخيبرية ، وحنينية ، وغيرهن ، فأضبت (٨) على عداوته ، وأكبت على منابذته ، حتى قتل الناكثين والقاسطين والمارقين (٩) .

وقال عبدالله بن بديل في صفين : يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا الله

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٩٤ .

(٢) الإحنة : الحقد في الصدر ، والجمع إحن وإحنات (لسان العرب ١٣ / ٨) .

(٣) سورة التوبة ١٢ .

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ١٨٠ ، بحار الأنوار ٣٢ / ٥٨٧ / ٤٧٢ .

(٥) يقال : وترت الرجل ؛ إذا قتلت له قتيلاً وأخذت له مالاً (لسان العرب ٥ / ٢٧٤) .

(٦) الصناديد : الواحد صنديد ، وهو كل عظيم غالب (لسان العرب ٣ / ٢٦٠) .

(٧) ناولشهم : قاتلهم ، والمناوشة في القتال : تداني الفريقين وأخذ بعضهم بعضاً (النهاية ١ / ١٢٨) .

(٨) أضبت الشيء : أخفاه (لسان العرب ١ / ٥٤٠) .

(٩) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ،

الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ،

المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١

/ ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

يريدون أو الله يعملون ما خالفونا ! ولكنّ القوم إنما يقاتلون فراراً من الأسوة^(١)، وحباً للأثرة^(٢) وضناً^(٣) بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن في أنفسهم ، وعداوة يجذونها في صدورهم لوقائع أوقتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وإخوانهم .

ثمّ التفت إلى الناس فقال : فكيف يبائع معاوية علياً عليه السلام وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجده عتبة في موقف واحد ! والله ما أظنّ أن يفعلوا ، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد^(٤) فيهم المزان^(٥)، وتقطع على هامهم السيوف ، وتثر حواجبهم بعمد الحديد ، وتكون أمور جمّة بين الفريقين^(٦).

ولمّا بلغ أمير المؤمنين صلوات الله عليه مسير طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى البصرة ... قام أبو الهيثم بن التيهان وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ حسد قريش إيّاك على وجهين : أمّا خيارهم ؛ فحسدوك منافسة في الفضل ، وارتفاعاً في الدرجة ، وأمّا شرارهم ؛ فحسدوك حسداً أحبط الله به أعماهم ، وأثقل به أوزارهم ، وما رضوا أن يساووك حتّى أرادوا أن يتقدموك ، فبعدت عليهم الغاية ، وأسقطهم المضار . وكنت أحنّ من ذلك فانصرفا وهما ساخطان منه .

وقال الإمام علي عليه السلام - من كتاب له إلى عقيل - : ألا وإنّ العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم اجتماعها على حرب النبي ﷺ قبل اليوم ، فأصبحوا قد

(١) القوم أسوة في هذا الأمر : أي حالهم فيه واحدة (لسان العرب ١٤ / ٣٥) .

(٢) في الحديث : « إنكم ستلقون بعدي أثرة » ، الأثرة : الإسم من آثر إذا أعطى ، أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء (لسان العرب ٤ / ٨) .

(٣) ضننت بالشيء أضنّ وضننت أضنّ ضنّاً وضنّاً : بخلت به (لسان العرب ١٣ / ٢٦١) .

(٤) تقصّدت الرماح : تكسرت (لسان العرب ٣ / ٣٥٥) .

(٥) المزان - بالضم - : الرماح الضلّبة اللدنة ، واحدها مزانة (لسان العرب ١٣ / ٤٠٣) .

(٦) وقعة صفين ١٠٢ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٨٠ وفيه « تقصّفت فيهم قنا » بدل « تقصّدت فيهم » ، المعيار والموازنة ١٢٨ نحوه .

جهلوا حقّه ، وجحدوا فضله^(١).

وأطافت ضربة والأزد بعائشة يوم الجمل ، وإذا رجال من الأزد يأخذون بعرج الجمل فيفتونّه ويشمّونه ، ويقولون : بعر جمل أمّنا ريحه ريح المسك^(٢)!

وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم معاوية له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء ، وأعاروه رؤوسهم عند القتال ، وحملوه بها ، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص : إنّ علياً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته . ثمّ ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة ، ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير^(٣).

هل قتل علي عليه السلام عقبة اليهودي صبراً أم في معركة بدر؟

افترى الامويون على الامام علي عليه السلام في كل أمر منها قتله لعقبة صبراً بأمر النبي بعد معركة بدر لانتبات مظلومية لعقبة اليهودي طبقاً لرأي اليهود في هذا الشأن والتقليل من شجاعة الامام علي عليه السلام . وعند الرجوع الى النصوص القديمة يظهر هذا الزيف الى العن : اذ عندما اجتمع عند معاوية الملائم من قومه ، ذكروا شجاعة علي عليه السلام وشجاعة الأشتر ، فقال عتبة بن أبي سفيان : إن كان الأشتر شجاعاً ، لكنّ علياً لا نظير له في شجاعته وصولته وقوّته !!

قال معاوية : ما منّا أحد إلّا وقد قتل علي أباه ، أو أخاه ، أو ولده ؛ قتل يوم بدر أباك يا وليد ، وقتل عمّك يا أبا الأعور يوم أحد^(٤)، وقتل يابن طلحة الطلحات

(١) الغارات ٢ / ٤٣١ عن زيد بن وهب ، شرح نهج البلاغة ٢ / ١١٩ ، الإمامة والسياسة ١ / ٧٥ نحوه وفيه « قريشاً » بدل « العرب » وراجع نهج البلاغة : الكتاب ٣٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٥٢٢ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٤٠ ، نهاية الأرب ٢٠ / ٧٢ كلاهما نحوه .

(٣) مروج الذهب ٣ / ٤١ .

(٤) أبو الأعور الأسلمي رئيس أسلم الأعرابية .

أباك يوم الجمل ، فإذا اجتمعتم عليه أدركتم شارككم منه ، وشفيتم صدوركم^(١). والعرب لا تذكر الأسير المقتول صبراً في جملة المقتولين في المعارك وتصر على ذكر مقتلهم صبراً في حين لم يذكر معاوية ذلك .

النبا العظيم

قال شخص :خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح وفوقه مصحف وهو يقرء : «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» فأردت البراز إليه ، فقال علي عليه السلام : مكانك ، وخرج بنفسه فقال له : أتعرف النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون؟ قال : لا .

فقال عليه السلام : أنا والله النبا العظيم الذي فيه اختلفتم ، وعلى ولايتي تنازعتم ، وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم ، وبيغيتكم هلكتم بعد ما بسيتي نجوتم ، ويوم الغدير قد علمتم ، ويوم القيامة تعلمون ما عملتم ، ثم علاه بسيفه فرمى برأسه ويده^(٢) .

وقال الإمام عليه السلام : ما قاتلت أهل الجمل وأهل صفين إلا بآية من كتاب الله وهي قوله عز وجل :

«وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون»^(٣) .

شدة الحرب والمعجزات

وشدة الحرب في صفين كانت قوية إلى درجة قيام أمير المؤمنين عليه السلام وصحبه بالصلاة ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً بالتكبير والتهليل والتسبيح والتمجيد والدعاء

(١) المناقب للخوارزمي ٢٣٤ .

(٢) البحار ٣٦ / ٢ .

(٣) تفسير القمي وعن تفسير نور الثقلين ١٨٨ / ٢ .

معركة صفين

وخاصة ليلة الهريز ، فكانت تلك صلاتهم ولم يأمرهم الإمام عليه السلام بإعادتها^(١) .
ففي زحمة القتال الصلاة بالتكبير وفي الوقوف الصلاة بالإيماء ودفن الإمام علي عليه السلام عمّار بن ياسر بشيابه دون تغسيل^(٢) .

ثم أخبر الإمام عليه السلام الناس بعض علوم الغيب في صفين مثل ظهور جنكيز خان ، وظهور الشاه إسماعيل^(٣) .

وقال علوماً كثيرة أخرى هي معجزات إلهية تنفع المؤمنين فازداد يقين المخلصين وتيقن بعض المشككين .

ومن معجزات الإمام عليه السلام في صفين أنه كلم نهر الفرات بعدما ضربه بقضيب في يده فانفجرت وسلمت عليه حيثانها وأقرت له بأنه الحجّة^(٤) .

وهي واحدة من أدلة كثيرة ظهرت لعلي عليه السلام في مكة والمدينة والكوفة وصفين .

مع من كان الصحابة في صفين؟

وحضر الحرب مع الإمام علي عليه السلام في صفين خيرة الصحابة والتابعين مثل عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت وعدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي والحسن والحسين عليه السلام ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس ومالك الاشتر وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص والاحنف بن قيس وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وجابر بن عبد الله الانصاري وقيس بن سعد بن عبادة وصعصعة بن صوحان وابي الاسود الدؤلي وكميل بن زياد والاصمغ بن نباتة

(١) تهذيب الأحكام ، الطوسي ٣ / ١٧٤ .

(٢) وسائل الشيعة ٣ / ٧٠١ .

(٣) خاتمة المستدرک ، النوري ٢ / ١٧٢ .

(٤) الصراط المستقيم ، العاملي ١ / ١٠٧ .

وإبي سعيد الخدري وجارية بن قدامة وعبد الله بن بديل الخزاعي .

في حين حضر مع معاوية بن أبي سفيان المنافقون والمطلوبون للعدالة مثل عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي سرح ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وعبيد الله بن عمر وعتبة بن أبي سفيان وأبي الاعور الاسلمي رئيس قبيلة أسلم الأعرابية ويسر بن ارطاة .

ونظرة سريعة وفاحصة للحاضرين في المعركة من الطرفين تبين الحق من الباطل وتظهر معرفة الناس يومذاك بهوية الطرفين المتحاربين إلا أن أموال معاوية هي التي حرّكت أفواه وأقلام المأجورين لتغيير الحقائق بشق السبل^(١).

أخلاق الإمام عليه السلام الحربية في صفين

وقس على كلامه هذا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة بعد سقوط الجمل وانتهزام الناس حيث قال: ايها الناس لا تتبعوا مدبراً ولا تهجزوا على جريح ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن الخ .

وكلامه عليه السلام يوم صفين حيث قال: لا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترأ ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة بأذى وان شتمن أعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانس والعقول^(٢).

وجاءوا بأسير إلى الإمام عليه السلام في صفين فبايعه .

فقال الإمام عليه السلام: لا أقتلك إني أخاف الله رب العالمين فخلى سبيله واعطاه

(١) أسد الغاية ١ / ٥٥ ، البحار ٣٥ / ١٢٢ ، كتاب صفين نصر بن مزاحم .

(٢) الكافي ٥ / ٧ .

سلبه الذي جاء به^(١).

النبي عليه السلام: أنت تقاتل الناكثين والفاستين والمارقين

جاء في الصحيح: انتقطع شيع^(٢) نعل رسول الله عليه السلام ، فدفعها إلى علي عليه السلام يصلحها ، ثم مثنى في نعل واحدة غلوة^(٣) أو نحوها ، وأقبل على أصحابه فقال: إن منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل !

فقال أبو بكر: أنا ذاك ، يا رسول الله؟! قال: لا ، فقال عمر: فأنا يا رسول الله؟! قال: لا . فأمسك القوم ، ونظر بعضهم إلى بعض . فقال رسول الله عليه السلام: لكنّه خاصف النعل - وأوماً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام - وإنّه المقاتل على التأويل إذا تركت سنتي ونُبتت ، وحُرّف كتاب الله ، وتكلّم في الدين من ليس له ذلك ، فيقاتلهم علي عليه السلام على إحياء دين الله عزّ وجلّ^(٤).

وجاء رجل إلى علي عليه السلام وهو على منبره ، فقال: يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أتكلّم بما سمعت عن عمّار بن ياسر يرويه عن رسول الله عليه السلام؟ فقال: اتّقوا الله ولا تقولوا على عمّار إلا ما قاله - حتّى قال ذلك ثلاث مرّات - ثمّ قال له: تكلم .

قال: سمعت عمّاراً يقول: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: أنا أقاتل على التنزيل ، وعلي يقاتل على التأويل .

فقال عليه السلام: صدق عمّار وربّ الكعبة إنّ هذه عندي لني ألف كلمة تتبع كلّ كلمة

(١) وسائل الشيعة ، العامل ١٥ / ٧٣ .

(٢) شيع النعل قبالتها الذي يُشدّ إلى زمامها . والزمام: السير الذي يعقد به الشيع (لسان العرب ٨ / ١٨٠) .

(٣) الغلوة: قدر رمية يسهم (لسان العرب ١٥ / ١٣٢) .

(٤) الإرشاد ١ / ١٢٣ عن جابر بن يزيد ، كشف الغمّة ١ / ٢١١ كلاهما عن الإمام الباقر عليه السلام ، كشف اليقين ١٦٥ / ١٧٥ من دون إسناد إلى المعصوم ، بحار الأنوار ٣٢ / ٢٩٩ / ٢٦٠ .

الف كلمة (١).

وعن أبي ذرّ الغفاري : كنت مع رسول الله ﷺ وهو يبيع الغرقد (٢) فقال : والذي نفسي بيده ، إنّ فيكم رجلاً يقاتل الناس من بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، فيكبر قتلهم على الناس ، حتّى يطعنوا على وليّ الله ، ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السفينة وقتل الغلام وأمر الجدار ، وكان خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لله رضى ، وسخط ذلك موسى . أراد بالرجل علي بن أبي طالب عليه السلام (٣).

وعن أنس بن مالك : سمعت رسول الله ﷺ قال : أوصياء الأنبياء الذين بعدهم بقضاء ديونهم ، وإنجاز عدايتهم ، ويقاتلون على سنتهم .

ثمّ التفت إلى علي عليه السلام ، فقال : أنت وصيّى ، وأخي في الدنيا والآخرة ، تقضي ديني ، وتنحو (٤) عدايتي ، وتقاتل على سنتي ؛ تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل (٥).

قال رسول الله ﷺ : أيها الناس ! لا ألفتكم بعدي ترجعون كفاراً ؛ يضرب بعضكم رقاب بعض ، فتلقوني في كتبية كمجّر السيل المجرار ! ألا وإنّ علي بن أبي طالب أخي ، ووصيّى ، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله (٦).

قال النبي ﷺ : يا علي ، أنت ... تقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على

(١) الخصال ٤٨ / ٦٥٠ عن جابر بن يزيد الجعفي ، بصائر الدرجات ٥ / ٣٠٩ عن جابر .

(٢) بيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة ، وهي داخل المدينة (معجم البلدان ١ / ٤٧٣).

(٣) المناقب للخوارزمي ٧٨ / ٨٨ ، كفاية الطالب ٣٣٤ ، الفردوس ٤ / ٣٦٨ / ٧٠٦٨ نحوه ؛ تفسير فوات ٢٠٠ / ٢٦٢ وليس فيهما « أراد بالرجل علي بن أبي طالب عليه السلام » .

(٤) كذا ، وفي بحار الأنوار نقلاً عن المصدر : « وتنجز » .

(٥) كفاية الأثر ٧٥ ، بحار الأنوار ٣٦ / ٣١١ / ١٥٢ ، وراجع الأمالي للطوسي ٣٥١ / ٧٢٦ والطرائف ٥٢١ والصراط المستقيم ٨٧ ، والمناقب للخوارزمي ٦١ / ٣١ ، وينابيع المودة ٣ / ٢٧٨ .

(٦) الإرشاد ١ / ١٨٠ ، بحار الأنوار ٢٢ / ٤٦ / ١٩ .

التنزيل (١). وقال النبي ﷺ : أنا أقاتل على تنزيل القرآن ، وعلي يقاتل على تأويل القرآن (٢). وقال الإمام علي عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه - : عجبا لسعد وابن عمر ؛ يزعمان أنّي أحارب على الدنيا !! أفكان رسول الله ﷺ يحارب على الدنيا؟! فإن زعما أنّ رسول الله ﷺ حارب لتكسير الأصنام ، وعبادة الرحمن ، فإنما حاربت لدفع الضلال ، والنهي عن الفحشاء والفساد . أفثلي يُزن (٣) بحبّ الدنيا ! والله ، لو تثقلت لي بشراً سوياً لضربت بها بالسيف (٤)!

وقال رسول الله ﷺ - لعلي عليه السلام - : أنت أخي ، وأبو ولدي ، تقاتل عن سنتي وتبرئ ذمتي (٥).

وقال الإمام علي عليه السلام : طلبني رسول الله ﷺ فوجدني في حائط نائماً ، فضربني برجله (٦) ، قال : قم ، فوالله لأرضيتك ! أنت أخي ، وأبو ولدي ، تقاتل على سنتي . من مات على عهدي فهو في كثر الله ، ومن مات على عهدك فقد قضى نخبه ، ومن مات يحبّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما أطلعت شمس أو غربت (٧). الإمام علي عليه السلام : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين

(١) كفاية الأثر ١٣٥ عن سعد بن مالك ، الجمل ٨٠ ، بشارة المصطفى ١٤٢ عن ابن عباس ، المسترشد ٤٢٩ / ١٤٢ ، عوالي اللاكي ٤ / ٨٧ / ١٧ كلّها نحوه ، الصواعق المحرقة ١٢٣ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) الفردوس ١ / ٤٦ / ١١٥ عن وهب بن صيفي ، كنز العمال ١١ / ٦١٣ / ٣٢٩٦٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ٢١٨ عن زيد بن أرقم .

(٣) زنه بكذا : إذا اتهمه به وظنّه فيه (النهاية ٢ / ٣١٦).

(٤) شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣٢٨ / ٧٦٥ .

(٥) مسند أبي يعلى ١ / ٢٧١ / ٥٢٤ عن أبي المغيرة عن الإمام علي عليه السلام ، المناقب لابن المغازلي ٢٣٨ / ٢٨٥ ، الأمالي للصدوق ١٥٦ / ١٥٠ ، بشارة المصطفى ١٥٥ ، كنز الفوائد ٢ / ١٧٩ كلّها عن جابر بن عبدالله وفيها ذيله .

(٦) لم يكن النبي يضرب برجله مثل باقي الاعراب بل كان حضارياً في تصرفاته مع الناس . وهذه العبارات أضافوها الى الاحاديث النبوية .

(٧) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ / ٦٥٦ / ١١١٨ عن أبي المغيرة ، الصواعق المحرقة ١٢٦ ،

كما كتب عليٌّ جهاد المشركين^(١).

وقال أبو أيوب الأنصاري: إن رسول الله ﷺ أمرني بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين، وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالشعفات بالطرقات بالنهراوات وما أدري ما هم^{(٢)؟}

عن علقمة والأسود: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب! إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟ فقال: يا هذا! إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٣).

فأما الناكثون: فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون: فهذا منصرفنا من عندهم - يعني معاوية وعمراً -، وأما المارقون: فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم! ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله^(٤).

للإذخائر العقبى ١٢٤ وفيهما «كنز الجنة» بدل «كنز الله».

(١) وقعة صفين ١٩٦، ٢٠٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧، تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٥، ١٠ / ٤٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠، ٢٧٣، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢، الفتح ٢ / ٥٤٤، تاريخ الطبري حادثة صفين.

(٢) المعجم الكبير ٤ / ١٧٢، ٤٠٤٩، أسد الغابة ٤ / ١٠٨، ٣٧٨٩، تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٧٣ كلاهما عن مخنف بن سليم، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٧ عن مخنف بن سليمان، كفاية الطالب ١٦٩، شرح الأخبار ١ / ٣٣٩، ٣٠٩ عن أبي مخنف وكلها نحوه.

(٣) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنجي ٦٩، كنز العمال ٦ / ١٥٤، الاستيعاب ٣ / ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٩، أسد الغابة ٤ / ١١٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

(٤) تاريخ بغداد ١٣ / ١٨٦، ٧١٦٥، تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٧٢، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٧، وراجع شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٠٧.

قال عبدالله بن عمر: ما أسى على شيء إلا إني لم أقاتل مع علي عليه السلام الفئدة الباغية^(١)!

عن الزهري: أخبرني حمزة بن عبدالله بن عمر أنه بينما هو جالس مع عبدالله بن عمر إذ جاءه رجل من أهل العراق فقال: يا أبا عبد الرحمن: إني والله لقد حرصت أن أتست بسمتك وأقتدي بك في أمر فرقة الناس، وأعتزل الشر ما استطعت، وإني أقرأ آية من كتاب الله محكمة قد أخذت بقلبي فأخبرني عنها. رأيت قول الله عز وجل:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)؟ أخبرني عن هذه الآية.

فقال عبدالله: ما لك لذلك؟ انصرف عني، فانطلق حتى توارى عننا سواده، وأقبل علينا عبدالله بن عمر، فقال: ما وجدت في نفسي من شيء في أمر هذه الآية ما وجدت في نفسي أني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل^(٣).

وقال عمار بن ياسر - لعمر بن العاص -: أمرني رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين، فأتهم، وأما المارقون فما أدري أدرتهم أم لا^(٤). عن شهر بن حوشب: كنت عند أم سلمة فسلم رجل فقيل: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر، قالت: مرحباً بأبي ثابت، أدخل فدخل فرحبت به.

(١) الاستيعاب ٣ / ٨٣، ١٦٣٠، أسد الغابة ٤ / ١٠٩، ٣٧٨٩، علل الشرائع ٢٢٢ نحوه.

(٢) سورة الحجرات ٩.

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٢٥، ٤٥٩٨، ٢ / ٥٠٢، ٣٧٢٢، السنن الكبرى ٨ / ٢٩٨،

١٦٧٠٦، فتح الباري ١٣ / ٧٢ وفيه من قوله تعالى نحوه.

(٤) وقعة صفين ٣٣٨، شرح نهج البلاغة ٨ / ٢١، وراجع المسترشد ٢٦٩ / ٧٩، وشرح الأخبار

١ / ٣٨٣، ٢ / ٨٣، ومستند أبي يعلى ٢ / ٢٦٧، ١٦٢٠، والمعيار والموازنة ١١٩.

فقلت : أين طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها ؟

قال : مع علي بن أبي طالب عليه السلام .

قالت : ووقّمت والذي نفس أم سلمة بيده لسمعت رسول الله ﷺ يقول : علي

مع القرآن والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبدالله - أبي أمية - وأمرتهما أن يقاتلا مع

علي من قاتله ، ولولا أنّ رسول الله ﷺ أمرنا أن نقرّ في حجالتنا^(١) أو في بيوتنا ،

لخرجت حتى أقف في صفّ علي^(٢) .

رفع المصاحف

ونادى علي عليه السلام بالرحيل في جوف الليل فلما سمع معاوية رغاء الإبل دعا إليه

ابن العاص وقال له : ماترى ههنا؟

قال اظن الرجل هاربا ، فلما اصبحوا وإذا بعلي عليه السلام وأصحابه إلى جانبهم قد

خالطوهم ، فأشار على معاوية برفع المصاحف على رؤوس الرماح فرفعوها ودعوا

الناس إليها طمعاً في ايقاف القتال الذي اوشك أن يقضي على أهل الشام بكاملهم ،

وارتفعت الأصوات من ناحية معاوية : يا أهل العراق هذا كتاب الله بيننا وبينكم

فهلّموا إلى العمل به فن لذراري أهل الشام وثغورهم بعد أهل الشام ، ومن لذراري

أهل العراق وثغورهم بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم والكفار وفي ذلك يقول

النجاشي :

فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا عليها كتاب الله خير قرآن

ونادوا علياً يا ابن عم محمد أما تستقي أن تهلك الثقلان

(١) الخجلة بالتحريك : بثّ كالفئة يُسْتَر بالثياب وتكون له أزرار كبار ، وتجمع على ججال (النهاية ١ / ٣٤٦) .

(٢) المناقب للخوارزمي ١٧٦ / ٢١٤ ، كشف الغمّة ١ / ١٤٨ ، بحار الأنوار ٣٨ / ٣٥ / ١٠ .

قال البلاذري أن علياً عليه السلام لما رأى المصاحف مشرعة على رؤوس الرماح قال : والله ما هم بأصحاب قرآن ولكنهم أرادوها مكيدة وخدعة ، وبلغهم ما فعلت من رفع المصاحف لأصحاب الجمل ففعلوا مثله ولم يريدوا ما أردت ، فلا تنظروا إلى فعلهم وامضوا على يقينكم وتياتكم .

لما سارت المعركة لصالح أمير المؤمنين واستعد معاوية للفرار ناشدوه الصبر والتريث وفي تلك الفترة الرهيبة استعمل ابن العاص مكره وذكاهه وأمر برفع المصاحف والرجوع إلى حكمها كما رفعها أمير المؤمنين في البصرة ، ولكن ما أبعد ما بين الحالتين ، أن علياً عليه السلام قد رفع المصاحف بين الصفيين في معركة البصرة بعد أن جادلهم وبذل كل ما في وسعه في سبيل الإلفة واجتماع الكلمة حقناً للدماء ، ولما لم تجده كل تلك المحاولات دعاهم إلى تحكيم الكتاب والعمل بما يفرضه عليهم ليتقي الحرب وتنتجها المريرة ، في حين أنه كان واثقاً من أن نتائجها ستكون لصالحه ولكنه لا يرى الانتصار بالعنف والقوة انتصاراً .

وكان موقف الكوفة موقف من يتقي الحرب ويتحاشاها وظل مدة من الزمن يتصل بهم بالمراسلة والرسول ويحذرهم نتائج القتال وما يتركه من الآثار السيئة على المسلمين ، وضرب لهم حينئذ استولى على الماء أروع الأمثلة في العفو والتسامح وأباح الماء لهم ولأصحابه على السواء لأنه صاحب رسالة يريد انتشارها وطالب حق يريد أن يطبع الناس عليه^(١) .

(١) وقعة صفين ١٩٦ ، ٢٠٢ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧ ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٥ ، ١٠ / ٤٨ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧ ، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢ ، الفتح ٢ / ٥٤٤ ، تاريخ الطبري حادثة صفين .

المسلمين يوم ذاك، وبعد هزيمة المرتدين عاد إلى المدينة وأعلن تدينه ورجوعه إلى الإسلام، وصاهره أبو بكر على أخته أم فروة، ودعمه عمر بن الخطاب وعيّنهُ عثمان على آذربيجان، وعزله علي عليه السلام عنها، وبقي معه في الكوفة ولكنه كان يراقب تصرفاته بحذر.

وله مواقف وأخبار يرويها المؤرخون عنه تؤكد أن أمير المؤمنين لم يكن يطمئن إليه في شيء من أموره، هذا بالإضافة إلى غيره ممن كان معاوية يعغريهم بالوعود ويمدهم بالأموال الطائلة مما أتاح لبادرته هذه أن تلقى تأييداً واسعاً من قادة العراق وتضطره بعد حوار طويل وجدال عنيف أحدث توتراً في صفوف العراقيين إلى النزول على حكمهم وقبول التحكيم وتؤكد النصوص التاريخية أن عدداً كبيراً من جند العراق كان يمد بصره إلى معاوية ويطمح في عطائه.

ولما اشترطت عك والأشعريون ما اشترطوا على معاوية من الفريضة والعتاء وأعطاهم ما يريدون لم يبق أحد من أهل العراق في قلبه مرض إلا طمع في معاوية وشخص يبصره إليه حتى فشا ذلك في الناس، إلى كثير من هذه الأرقام التي يجدها الباحث هنا وهناك، هذا بالإضافة إلى أن جيش العراق كان خليطاً من العراقيين والحجازيين والبصريين، وفيهم من كان عثماني الرأي، بل كان بينهم جماعة من المنهزمين في معركة البصرة، وهؤلاء لم يقاتلوا معه بدافع الايمان بحقه والرضى بحكومته، بل كانوا واجدين عليه لأنه وترهم باخوانهم وعشائرتهم في البصرة وكان قادة هؤلاء على صلة بمعاوية بواسطة عملائه المنتشرين في العراق.

وفي أيام السلم وفي شهر المحرم بالذات من تلك السنة كانوا يختلطون مع أهل الشام ويتعارفون ويتشاورون في أمورهم وما انتهى إليه حالهم، بل كان بعضهم يتصل مباشرة بمعاوية وابن العاص كما يدل على ذلك ما جاء في شرح النهج عن سفيان بن عاصم بن كليب الحرقي عن ابيه عن ابن عباس أنه قال:

حدثني معاوية أنه في اليوم الذي كاد أن يقع فيه أسيراً بيد الجيش العراقي وقد

الفصل الثالث : قضية التحكيم

الاتفاق السري بين معاوية والأشعث على وقف القتال

وكان معاوية يحارب لكسب السلطة بنفس الروح التي كان يحارب بها أبو سفيان وزوجته هند وأسرته الأموية الإسلام، ولذا فإنه لم يدع إلى الكتاب والرجوع إليه ولا رفعه على المصاحف إلا بعد أن اكلته الحرب وقضت على آخر أمل له في الانتصار.

ولم يدع إليه ليرجع إلى حكمه بل ليستعيد انفاسه ويسعى لتزويق جيش العراق بأسلوب جديد من مكره وخداعه بعد أن عجز عن تمزيقه بجيشه وعتاده، وتم له ذلك.

فما أن شاعت دعوتهم إلى حكم الكتاب بين أهل العراق حتى ارتفعت أصوات الخونة من هنا وهناك تعلن الموافقة على الهدنة والرجوع إلى حكم الكتاب وكأنهم مع من رفعوا المصاحف على ميعاد وكان الأشعث بن قيس من أشد أولئك المتحسمين للتحكيم ووقف القتال ومن المعروفين بميوهم المعادية.

وكان هناك اتفاق بين معاوية والأشعث يعني على رفع المصاحف ووقف القتال وقضية التحكيم والدعوة للتحكيم أبي موسى الأشعري البجلي وسارت الأمور كما اتفقاً سرّاً فشق الأشعث صفوف أهل العراق (١).

لقد اسلم الأشعث في حياة النبي ﷺ وارتد بعد وفاته مع المرتدين وحارب

(١) وقعة صفين ١٩٦، ٢٠٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧، تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٥، ١٠ / ٤٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠، ٢٧٣، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢، الفتوح ٢ / ٥٤٤، تاريخ الطبري حادثة صفين.

جاء له بفرس انثى بعيدة البطن عن الأرض ليهرب عليها، وفيما هو بهم بذلك إذ أتاه آت من أهل العراق وقال له: أني تركت أصحاب علي عليه السلام في مثل ليلة الصدر من منى، فأقمت عند ذلك وعدلت عن الفرار، وامتنع معاوية أن يخبره بالرجل الذي وصف له حالة الجيش على حد تعبير الراوي.

وبرنامج رفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم نتيجة مؤامرة سابقة قد اتفق عليها معاوية وابن العاص والأشعث بن قيس ومن على شاكلته من الخونة والحاقدين والطامعين من أهل العراق خلال الأيام الأولى من المعركة، أو خلال شهر المحرم الذي تواعدا فيه عن القتال بقصد تقسيم الجيش وإيقاع الفتنة فيه عندما يتعسر عليهم التغلب على علي عليه السلام بقوة السلاح، وقد تم لهم ذلك، فما أن رفع أهل الشام مصاحفهم على رؤوس الرماح وتنادوا بالرجوع إليها حتى تعالت الأصوات من كل جانب تطلب وقف القتال والرجوع إلى حكم الكتاب بالرغم من إصرار أمير المؤمنين على مواصلة الحرب وتحذيرهم مما تنطوي عليه تلك الخديعة من النتائج السيئة. ومما يرجح أن رفع المصاحف كان متفقاً عليه ومدروساً مع تلك الفئات بقصد تقسيم الجيش عندما يعجز جيش الشام عن التغلب على جيش الإمام وطالب الخوارج بالتحكيم من كل جانب وأجبروا علياً عليه السلام عليه، ورجعوا عنه بعد كتابة الصحيفة وشهروا سيوفهم في وجه أمير المؤمنين وطالبوه برفضه بعد إبرامه، فقال لهم: ويحكم أبعاد الرضا والميثاق والعهد نرجع، أليس الله يقول:

وأوفوا بعهد الله ويقول: وأوفوا بالعقود ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها، وكان الأمر كما يريدون وما يرجح ذلك أيضاً انقسام الجيش بتلك السرعة وإصرار أكثر قادته على وقف القتال وقبول التحكيم مع أنهم على أعتاب الانتصار.

وقال الأشعث بن قيس ومعه العياينة لأمر المؤمنين: والله لتجيبنهم إلى ما دعوا إليه أو لنذفنكن إليهم برمتك وكان معاوية قد استأله إليه ودعاه إلى نفسه فقال عليه السلام: «أيها الناس أنا أحق من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وابن

العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أني أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شر صغار وشر رجال، ويحكم أنها كلمة حق أريد بها باطل، إنها المكيدة والخديعة اعبروني سواعدكم ساعة، فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا».

فاحاط بالإمام عليه السلام نحواً من عشرين ألف مقاتل مقنعين بالحديد وهم يقولون: أجب القوم وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجهبهم إلى ما يريدون إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تشير إلى أن الكثرة الغالبة من جيشه وقفت نفس الموقف الذي وقفه ابن الأشعث وأصحابه، ولم يبق معه ممن ينقادون إليه إلا القليل من بني هاشم وخلص أصحابه وقد صرح هو بذلك أيضاً في جوابه للخوارج حينما قالوا لعبد الله بن عباس: لقد رجعنا عنه يوم صفين ولم يضربنا بسيفه وحكم الحكمين، فقال في جواب مقالتهم هذه كما جاء في تاريخ اليعقوبي.

لقد كنتم عدداً جماً يوم ذاك وكنت أنا وأهل بيتي في عدة يسيرة. وعندها كان أمير المؤمنين في هذا الموقف أمام خيارين لا ثالث لهما: أما المضي بالقتال، ومعنى ذلك أنه سيفقاتل نصف جيشه وأهل الشام.

وهذا يعني خسارة الإمام علي عليه السلام لقسم عظيم من جيشه في هذه المعركة. والإمام عليه السلام جاء لرأب الصدع ووحدته الناس لا لخسارة جيشه المحارب معه ونشر الفتنة.

لذا اضطرَّ إلى القبول بوقف النار (١).

(١) وقعة صفين ١٩٦، ٢٠٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٦٧، مروج الذهب ٢ / ٣٨٧، تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٥، ٥ / ١٠، ٤٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٦٠، ٢٧٣، أنساب الأشراف ٣ / ٩٧، العقد الفريد ٣ / ٣٣٢، الفتوح ٢ / ٥٤٤.

عدم اعتناء الخوارج باليهود

الاطلاع على فسق وتهور الخوارج وتحللهم من اليهود وتبديل مواقفهم أمر مهم. إن علياً عليه السلام لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أثناء رجولان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي، وحر قوص بن زهير السعدي، فدخل عليه، فقال له: لا حكم إلا لله! فقال علي: لا حكم إلا لله.

فقال له حر قوص: ثب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا!

فقال لهم علي عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتوني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهدنا ومواثيقنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ مَا تَشَاءُونَ﴾^(١).

فقال له حر قوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه.

فقال علي عليه السلام: ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه، ونهيتكم عنه.

فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه وقد حكمت في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل فأبوه، ثم كتبت بينكم وبينه كتاباً، وجعلت بينكم وبينه المودعة والاستفاضة، وقد قطع عز وجل الاستفاضة والمودعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية^(٢).

(١) سورة النحل ٩١.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٦٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٩٣، أنساب الأشراف ٣ / ١٢٢، المعيار والموازنة ١٩٤ كلاهما نحوه.

وكان الزبير وطلحة وعائشة ومعاوية لا يعيرون اليهود أهمية تذكر متعلمين هذا من اليهود الغادرين، بينما كان عرب الجاهلية يهتمون باليهود والمواثيق^(١).

كلمة الإمام عليه السلام بعد قضية الحكيم

قال الإمام علي عليه السلام - بعد سماعه لأمر الحكيم -: «لبس حشاش نار الحرب أنتم! أف لكم! لقد لقيت منكم برحاً، يوماً أناديكم، ويوماً أناجيكم؛ فلا أحرار صدق عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء»^(٢).

وقال عليه السلام: «لعمرك الله، لبس حشاش الحرب أنتم! إنكم تكادون ولا تكيدون، ويُنقَصُ أطرافكم ولا تتحاشون، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إن أخوا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع، وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب»^(٣).

وقال الإمام علي عليه السلام: «أيتها النفوس المختلفة والقلوب المتشعبة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم^(٤) على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار^(٥) العدل، أو أقيم اعوجاج الحق، اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان من منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لرد العالم من دينك، ونظير الإصلاح في بلادك؛ فيا من

(١) كانت قبائل الجاهلية تحترم عهدا المعطاة لملك الفرس في الاستفادة من أعشاب جنوب العراق لما شيتها في فصل الربيع.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٢٥، بحار الأنوار ٣٣ / ٣٧١ ح ٦٠٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٩٠، عن زيد بن وهب، أنساب الأشراف ٣ / ١٥٤ وفيه من «ينقص» إلى «ساهون»، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٨ وفيه إلى «ساهون»، الإمامة والسياسة ١ / ١٧٠، الغارات ١ / ٣٦ كلها نحوه.

(٤) أي أعطفكم (النهاية ٣ / ١٥٤).

(٥) سرار الشهر: آخر ليلة يستمر الهلال بنور الشمس (النهاية ٢ / ٣٥٩).

المظلومون من عبادك، وتُقام المعطلة من حدودك.

اللهم إني أول من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة، وقد علمت أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج، والدماء، والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين البخيل؛ فتكون في أمواهم تهمته، ولا الجاهل؛ فيضلهم بجهله، ولا الجافي؛ فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول^(١)؛ فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم؛ فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنّة، فيهلك الأئمة^(٢)».

وقال الإمام علي عليه السلام: «أيها الناس! غير المغفول عنهم، التاركون، المأخوذ منهم. ما لي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين؟ كأنكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبنيٍّ ومشرب دويٍّ. وإنما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها! إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها. وشعبها أمرها. والله لو شئت أن أخبر كلَّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ﷺ».

ألا وإني مُفضيه إلى الخاصّة ممن يؤمن ذلك منه. والذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً. وقد عهد إليّ بذلك كلّهُ، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر. وما أبق شيئاً يمرّ على رأسي إلا أفرغه في أذني وأفضى به إليّ.

أيها الناس! إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن

(١) الحيف: الجور والظلم (لسان العرب ٩ / ٦٠) والدُول جمع الدولة وهو ما يتداوله العال فيكون لقوم دون قوم (لسان العرب ١١ / ٢٥٢).

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٣١، بحار الأنوار ٢٥ / ١٦٧ ح ٣٦.

معصية إلا وأتاهي قبلكم عنها»^(١)-(٢).

مواقف الأشعري

التحق الأشعري بالنبي هو وجماعة من الأشعريين والنسبي عليه السلام لا يزال في خير، في الوقت الذي رجع فيه جعفر بن أبي طالب من الحبشة، فظن قوم أنه كان من المهاجرين إليها على حدّ تعبير الراوي.

وقد ولاه عمر بن الخطاب البصرة لما عزل المغيرة بن شعبة عنها، فلم يزل بها إلى أن عزله عثمان بن عفان عنها وولاها عبد الله بن عامر، فسكن أبو موسى في الكوفة فلما ثار أهلها على سعيد بن العاص وأخرجوه منها كتبوا إلى عثمان أن يولي عليها أبا موسى فولاه الكوفة وعزله عنها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن وقف منه موقفه المعارض، فكان واجداً وحاقداً عليه وقال فيه الامام قولاً سيئاً كما يذهب لذلك بعض المحدثين، وأضافه إلى ذلك أنه كان ليلة العقبة مع الذين اعترضوا طريق رسول الله ﷺ لقتله^(٣).

النبي ﷺ يحذّر الأشعري

ومن المدهش قول أبي موسى الأشعري لسويد بن غفلة على شاطيء الفرات في خلافة عثمان ان رسول الله ﷺ قال للأشعري: أن بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل الخلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضالا وأضلا من اتبعها، ولا ينفك أمر هذه

(١) قال ابن أبي الحديد: التاركون: أي يتركون الواجبات. المأخوذ منهم: معنى الأخذ منهم: انتقاص أعمارهم وانتقاص قواهم. المرعى الوبي: ذو الوباء والمرعى. الدوي: ذو الداء. المدى: جمع مدية؛ وهي السكين. ومعنى تكفروا في برسول الله أي تفضّلوني عليه (شرح نهج البلاغة ١٠ / ١١ و ١٢).

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٧٥.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٥٣، كتاب المفاخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ١٠٣ ط دار الفكر ١٣٨٨هـ، المحلّي، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥.

الأمة حتى يبعثوا حكيمين ضالين ويضلان من اتبعهما، فقال له عليه السلام: احذر يا أبا موسى أن تكون احدهما فخلع الأشعري قيصه وقال: ابرأ إلى الله من ذلك كما ابرأ من قيصي هذا، ومضى الراوي يقول: ولقد صدقت فيه معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان حكماً لأهل العراق فضل وأضل من اتبعه (١).

لماذا لم يتفق ابن العاص والأشعري على شخص؟

الركن المهم في التحكيم هو نزاهة الحكيم وهذا الأمر غير موجود في قضية التحكيم في صفين.

فعمرو بن العاص رجل فاجر محارب للإسلام قديماً وحديثاً وقد باع دينه لمعاوية مقابل ملك مصر، وهو من المنافقين الساعين لقتل النبي صلى الله عليه وسلم في عقبة تبوك (٢). والأشعري من المنافقين الساعين لقتل النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك أيضاً وتاريخه أثناء ولايته البصرة والكوفة يبين انحراجه عن الإسلام الأصل فاضطر الإمام عليه السلام إلى عزله عن ولاية الكوفة.

فهذان الحكمان لا يحكمان بالحقّ أبداً ولا يفكران إلا في مصالحهما الذاتية وأهوائهما الدنيوية. والمسلمون لا يتقون بهما أبداً!

ولو كان عندهما دين لبايعا الإمام علياً الذي بايعه النبي صلى الله عليه وسلم في الغدير وبايعه المسلمون بعد مقتل عثمان (٣).

لكنهما لا يبايعان الإمام عليه السلام إلا إذا أعطاهما منصباً مهماً في الدولة وأطلق

أيديهما في بيت المال وهذا لا يحصل أبداً.

ودعا الأشعري إلى عبدالله بن عمر فرفضه ابن العاص لاتفاقه مع معاوية على ملك مصر وراثة وبقينه بمخالفة الفريقين المتنازعين لهذا الاقتراح. وعدم اتفاقهما على حكم معاوية يبين مخالفة الأشعري لهذا الاقتراح (١).

ولكن ابن العاص أطمع الأشعري في الحكم فلم يوافق، لماذا؟

كان معاوية حاكماً على الشام فقط والإمام علي عليه السلام حاكم على بقية الدولة الإسلامية. والمسلمون لا يوافقون على حكم معاوية.

والإمام علي عليه السلام وأتباعه سوف يرفضون حكم معاوية إن حكم بها المتحاكمان لذا رفض الأشعري اقتراح ابن العاص دنيوياً لا دينياً!

والأشعري لم يبايع علياً ارضاءً منه لمعاوية الذي وعده بواسطة ابن العاص بالمال والمنصب ووفى له بذلك.

دسائس الحكيمين في الخفاء!

وحيثما شرعوا في كتابة بنود الاتفاق كتب الكاتب: هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان فقال معاوية بشس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته وقال ابن العاص: بل تكتب اسمه واسم أبيه، ولما أصر أهل العراق على ما كتب قال أنه اميركم وليس بأمرنا، فأعادوا الكتاب إلى أمير المؤمنين وأخبروه بذلك، فأمر بمحوه، فقال له الأحنف لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك فإنني أخوف إن محوتها لا ترجع إليك أبداً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما أشبه هذا اليوم بيوم الحديبية، حين كتب الكاتب هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله وسهيل

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٣٦٧، مروج الذهب ٢/ ٣٨٧، تاريخ الطبري ٤/ ٥٧٥، ١٠/ ٤٨، أنساب الأشراف ٣/ ٩٧، البداية والنهاية ٧/ ٢٦١، المقد الفريد ٣/ ٣٣٢، الفتح ٢/ ٥٤٤، وقعة صفين ١٩٦، ٢٠٢.

(١) كنز العمال، المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥ هجرية ١٤/ ٨٦ طبع مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٣، كتاب المفخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٣ ط دار الفكر ١٣٨٨، المحلى، ابن حزم الأندلسي ١١/ ٢٢٥.

(٣) شرح النهج، المعنزلي ٤/ ٨، أنساب الأشراف، البلاذري ٢٠٦، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٨، تاريخ الطبري ٢/ ٤٥١، البداية والنهاية ٤/ ٣٠، الإمامة والسياسة ١/ ٦٦.

بن عمر.

فقال له سهيل لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، وأني إذا لظالم لك أن منعك أن تطوف في البيت الحرام وأنت رسوله، ولكن أكتب بدلاً من ذلك محمد بن عبد الله.

فقال لي رسول الله: يا علي إنني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله ولن تحيي عني الرسالة إذا كتبت لهم محمد بن عبد الله فاح ما أرادوا محوه، أما أن لك مثلها ستطهها وأنت مضطهد.

وفي رواية ثانية أن ابن العاص رجع بالكتاب إلى معاوية وطلب من أمير المؤمنين محو ما كتبه، فقص عليه ما كان يوم الحديبية بين رسول الله وبين المشركين وقال: إن ذلك الكتاب أنا كتبت بيننا وبين المشركين واليوم اكتبه إلى ابنائهم كما كتبه رسول الله إلى آبائهم شهباً ومثلاً، فقال له ابن العاص: يا سبحان الله أتشبهنا بالمشركين ونحن مسلمون.

فقال عليه السلام: يا ابن النابغة ومتى لم تكن للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً، فقام عمرو بن العاص وهو يقول: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم، فقال أمير المؤمنين: والله أني لأرجو أن يظهرنا الله عليك.

وكتبت الصحيفة بين الطرفين ووقعها من كل منها عشرة من قادتهم ووجوههم، ويتلخص مضمونها كما يصفه الرواة بأن يبقوا عند أحكام الله ويرجعوا إلى حكم الكتاب فيما يختلفون فيه، وإلى سنة رسول الله فيما لم يجدوا حكمه في الكتاب.

والتزام علي ومعاوية ومن يتبعها من المؤمنين والمسلمين بما يحكم به الحكمان، ويصلح الحكمان بين الأمة ولا يرداها إلى فرقة أو حرب، وأن يجتمع الحكمان في مكان بين الشام والحجاز.

وأن لا يحضر معهما إلا من أرادوه وأن يعمل الطرفان على توفير الجو

المناسب لها خلال اجتماعهما وفيما بعده، وتكاد الروايات كلها تتفق على هذا المحتوى ما عدا بعض الاختلافات البسيطة التي لا تتنافى معه.

ولم يرد في الروايات ما يشير إلى موضوع الصراع بين الطرفين بوضوح كامل في الصحيفة التي وقعها الطرفان، في حين أن أسباب الصراع واضحة للجميع لا لبس فيها ولا غموض، لأن معاوية كان قبل معركة الجمل يطالب بمحاكمة أولئك الذين قتلوا عثمان أو بتسليمهم إليه ليتولى القصاص منهم، وبعد ترمد عائشة وطلحة والزبير تعزز موقفه وأصبح يطالب باعادة الخلافة شورى بين المسلمين على أن يكون له ولا تبعه رأي في ذلك.

وقد رد أمير المؤمنين على طلبه الأول بأن يدخل فيما دخل فيه المسلمون ثم يحاكم القوم إليه ليقص لعثمان من قاتليه إذا أدنوا بجرعة توجب القصاص.

ورد علي عليه السلام طلبه الثاني، بأن خلافته قد تمت باجتماع أهل الحرمين الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة من قبله وبايعه بالاضافة إلى أهل الحرمين جميع أهل الأمصار ما عدا الشام، على أن يبيعه المهاجرين والأنصار وحدها تكفي لازمام الشاهد والغائب ولم يتخلف منهم سوى ثلاثة أو أربعة قد اعتزلوا الناس ولم يناصروا أحداً عليه، وبقي على أهل الشام أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، وإلا كانوا من البغاة بحكم الإسلام والقرآن الذي أوجب قتالهم حتى يفيتوا إلى أمر الله.

واهملت الصحيفة علل الصراع وعلاجها وتقول النصوص ان عزل الإمام عليه السلام عن الخلافة كان أمراً مفروغاً منه لدى الطرفين، ولكن خلافها كان على البديل فقد اقترح أبو موسى الأشعري عبد الله بن عمر بن الخطاب كما نصت على ذلك الروايات، فرد عليه ابن العاص بأن عثمان بن عفان قتل مظلوماً ومعاوية وليه، وتلا عليه الآية ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لولييه سلطاناً، هذا مع العلم بأن الولي الذي تشير إليه الآية هو وارث المقتول فإن لم يكن له وارث فوليه الحاكم الشرعي، وعلي عليه السلام هو الحاكم يوم ذاك ولا احسب أحداً يجهل هذه الحقيقة في حين أن أبا

موسى لم يبد أية ملاحظة حول هذه الناحية^(١)، ومضى ابن العاص يغريه بالسلطة إن هو وافق معه على أن تكون معاوية كما جاء ذلك في المجلد الاول من شرح النهج، وبعد حوار طويل بين الطرفين استطاع ابن العاص أن يخدعه ويغريه بأموال ووعود معاوية فأظهر له موافقته على اقصائها معا وترك الأمر للمسلمين يختارون لأنفسهم من يريدون، وكان ما أراده ابن العاص فخلع أبو موسى عليا وأثبت ابن العاص معاوية وانتهت قضية التحكيم إلى فضيحة للاشعري وابن العاص ومعاوية والاشعث والخوارج.

وبعد شهادة الإمام عليه السلام زار الأشعري معاوية فوجد أبوابه مشرعة نحوه وأغدق عليه الأموال !!

ومضى الخوارج في غيهم فقالوا: لقد كان الإمام عليه السلام للمؤمنين اميراً فلما حكم في دين الله خرج عن الايمان فليتب بعد اقراره بالكفر، فرد عليهم ابن عباس بقوله: لا ينبغي المؤمن لم يشب إيمانه بشك أن يحكم على نفسه بالكفر، فقالوا: أنه قد حكم في دين الله.

فقال: إن الله أمرنا بالتحكيم في قتل الصيد بقوله: يحكم به ذوا عدل منكم، فقالوا أنه قد حكم عليه فلم يرض، فرد عليهم بأن الحكومة كالإمامة، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا حكم الله فسقا ونبذت أقوالهما.

فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم، فإن هذا من القوم الذين قال الله فيهم: إنهم قوم خصمون، وقال أيضاً: وتنذر به قوماً لدا واحجموا عن مناظرته.

ورجع ابن عباس إلى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى له معهم، فمشى إليهم بنفسه، وقال لصعصعة بن صوحان العبدي: إئت القوم ودلني على الرجل المقدم

(١) لجهله الفقهي وميله الى الطغاة.

فيهم، فقال له: هو يزيد بن قيس الأرحبي، ولما انتهى أمير المؤمنين إلى حروراء جعل يتخلل مضاربهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين، ثم خرج واتكأ على قوسه وأقبل على الناس وقال: هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة، والتفت إلى القوم وقال:

أنشدكم الله أعلمتم أحداً كان أكره للحكومة مني؟

قالوا: اللهم لا.

قال: أتعلمون بأنكم اكرهتموني حتى قبلتها، قالوا: اللهم نعم.

قال: فعلام خالفتموني وناذتوني.

قالوا: إنا أتينا ذنباً عظيماً فتنبنا إلى الله، فتاب إلى الله منه واستغفره نعد إليك،

فقال الإمام عليه السلام: اني أستغفر الله من كل ذنب، فاستجابوا إليه ورجعوا معه إلى الكوفة وكانوا بين الستة آلاف والعشرة آلاف حسب اختلاف المؤرخين، واستقروا في الكوفة مع اخوانهم وأهلهم^(١).

فتنة الأشعث وإعادته الخوارج إلى معارضتهم

بعدما رجع الإمام عليه السلام عن التحكيم بدأ ينتظر أن يسمن الكراع وتجبى الأموال ليعود إلى حرب معاوية وأتباعه.

اما الأشعث وأمثاله من دعاة الفتنة المتفقون مع معاوية على اثاره الفتنة بين طوائف الكوفة فلم يرضوا أن الحياة طبيعية صافية بين أهل الكوفة والإمام عليه السلام، ويتفرغوا للحرب معاوية وأهل الشام بروح طيبة تحس بأن عليها أن تكفر عما كان منها، وعند ذلك لا تبقى لعملية التحكيم نتائجها المرجوة، فجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في ملأ من أهل الكوفة.

(١) البحار ٣٣ / ٣٥٣، انساب الاشاف ج ١ المخطوطة الورق ١٩٣، جامع بيان العلم، ابن عبد البر ٢ / ١٢٦.

وقال إن الناس قد تحدثوا بأنك رجعت عن الحكومة وأصبحت تراها ضلالاً وترى الإقامة عليها كفراً ومضى يشدد على أمير المؤمنين لينترع منه تصريحاً يستفز به أولئك الذين عادوا إلى الكوفة وانسجموا مع جماعة الناس .

فقال عليه السلام إن من زعم بأني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالاً فهو أضل .

ومضى أبو العباس في الكامل يقول أن القوم لما بلغتهم مقالة أمير المؤمنين مضوا إلى النهروان وأعلنوا العصيان والتمرد عليه .

فاعترضوا جماعتهم بتحريض من الأشعث ومن يحمل روحه ليشغل أهل الكوفة عن التهيؤ والاستعداد لحرب معاوية، وفي طريقهم وجدوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم لأنه كان على خلاف ما يعتقدون واستوصوا بالنصراني خيراً، وقال بعضهم لبعض احفظوا ذمة نبيكم .

ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه كتاب الله ومعه امرأته وهي في الشهر الأخير من حملها، فقالوا له: إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك، فقال لهم أحيوا ما أحياء القرآن وأميتوا ما أماتته، وفيما هم يحاورونه وإذا برجل منهم يتناول ثمرة سقطت من نخلة ويضعها في فمه فصاحوا به فلفظها وعرض لرجل خزير فقتله فقالوا هذا فساد الأرض وأنكروا عليه قتله .

ثم التفتوا إلى ابن خباب وقالوا: حدثنا عن أبيك حديثاً سمعته من رسول الله، فقال: سمعت أبي يقول:

إن رسول الله قال ستكون بعدي فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يسمى مؤمناً ويصبح كافراً فكن عند الله المقتول ولا تكن القاتل .

فقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر وعلي قبل التحكيم وعثمان في السنين الست الأخيرة من خلافته، فأثنى عليهم خيراً .

فقالوا: ما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة، فقال: إن علياً أعلم بالله

وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة .

فقالوا: انك لا تتبع الهدى بل تتبع الهوى والرجال على أسانهم، ثم جروه إلى شاطئ النهر وذبحوه وجاؤوا بزوجه فبقروا بطنها وذبحوها مع ولدها إلى جانبه .

ولما بلغ الإمام عليه السلام ما فعلوه مع ابن خباب وزوجه وفسادهم في الأرض سار إليهم في أصحابه وكان يستعد لحرب أهل الشام، ولما انتهى إلى مكان قريب إليهم أرسل إليهم أن يدفعا قتلة الصحابي الجليل عبد الله بن خباب ومن قتلوه من المسلمين في طريقهم إلى النهروان .

فقالوا لرسوله كلنا قتلة ابن خباب ولو قدرنا على علي بن أبي طالب ومن معه لقتلناهم، فثنى إليهم بنفسه وقال: أيتها العصابة اني نذير اليكم أن تصبحوا لعنة هذه الأمة غداً وأنتم صرعى في مكانكم هذا بغير برهان ولا سنة، ألم تعلموا بأني نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم أن طلب القوم كان مكيدة، وأنبأتكم أنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأني أعرف بهم منكم وهم أهل المكر والغدر فعصيتوني وأكرهتموني حتى وافقت على التحكيم بعد أن شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحياء القرآن ويميتا ما أماتته، ولما خالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى نبذنا أمرهما وبقينا على أمرنا الأول وها أنا عائد إلى حرب معاوية وأتباعه (١) .

فقالوا: إنا حيث حكمنا الرجلين أخطأنا وكفرنا وقد تبنا إلى الله من ذلك، فإن شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا فنحن معك ومنك، وإلا فاعتزلنا، وإن أبيت فنحن منا بدوك على سواء .

فقال لهم: بعد إيماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، ويحكم بم استحلتتم قتالنا والخروج عن

جماعتنا؟

فلم يجيئوه وتنادوا من كل جانب الرواح إلى الجنة وشهروا السلاح على أصحابه وأثخنوهم بالجراح، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهام وشده عليهم أمير المؤمنين وأصحابه فما هي إلا ساعات قلائل حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا.

وكان الإمام عليه السلام قد أخبر أصحابه قبل المعركة بأنه لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة، وكان الأمر كما أخبرهم، فلم ينج منهم إلا تسعة أو ثمانية، ولم يقتل من أصحابه إلا تسعة كما روى ذلك أكثر المؤرخين.

مقتل المخدج

وكان النبي عليه السلام قد أخبر أمير المؤمنين بقتل الخوارج وقتل المخدج معهم لذلك فإنه بعد انتهاء المعركة فتش عنه وألح في طلبه حتى وجده بين القتلى.

وجاء في الصحاح المتفق عليها على حد تعبير ابن أبي الحديد كما جاء في المجلد الأول من شرح النهج أن رسول الله لما شرع في تقسيم الغنائم بعد انتهائه من معركة حنين قام إليه رجل من بني تميم يدعى ذا الخويعة فقال له: اعدل يا محمد، فقال: لقد عدلت وأعاد عليه التميمي قوله ثانية وثالثة وفي الثالثة رد عليه النبي عليه السلام بقوله عليه السلام: سيخرج من ضضيء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على حين فرقة من الناس تحقرون صلاتكم في جنب صلاتهم يقرأون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود مخدج اليمين احدى يديه كأنها ندي امرأة وأضافت رواية عائشة إلى ذلك، يقتله خير أمتي من بعدي (١).

وعن مسروق أنه قال: قالت لي عائشة انك من ولدي ومن أحبهم إلي فهل

عندك علم بالمخدج فقلت نعم: قتله علي ابن أبي طالب على نهر يقال له النهروان، فقالت: ابغني على ذلك بينة فأتيتها برجال عندهم علم بذلك، ثم قلت لها: أسألك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله عليه السلام فيه.

قالت سمعته يقول: إنه شر الخلق والخليفة يقتله خير الخلق وأقربهم عند الله وسيلة. ولما بلغها أن علياً عليه السلام قد قتله قالت: لعن الله ابن العاص لقد كتب إلي يخبرني أنه قتله بالاسكندرية، إلا أنه ليس بمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله، لقد قال يقتله خير أمتي من بعدي.

وقد أجمعت الروايات على أن أمير المؤمنين قد اهتم بالبحث عنه، ولما عجز أصحابه عن العثور عليه خرج بنفسه وما زال يبحث عنه حتى وجده فكبر.

وكان الأشعث بن قيس لا هم له إلا التخريب وبث روح التخاذل في النفوس، وراح يضع في أذهان الجيش إن علياً كان عليه أن يصنع مع أهل النهروان كما صنع عثمان ويتغاضى عنهم وهم قلة لا يشكلون خطراً عليه، لقد قال الأشعث ذلك ليحدث تصدعا في صفوف الجيش وليشحن نفوس من تربطهم بأولئك القتلى أنساب وقربات بالكراهية والعداء لعلي عليه السلام.

فقد جاء في كتاب علي بن أبي طالب لعبد الكريم الخطيب أن علياً عليه السلام خطب يوماً أصحابه وحثهم على الجهاد وأنهم على تخاذلهم وعودهم عنه، وما أن انتهى من خطابه ينتظر ردهم عليه حتى انبرى له الأشعث بقوله: يا أمير المؤمنين أفهلا فعلت كما فعل عثمان؟

فقال له الإمام: وما فعل عثمان؟

فقال: لقد أبي أن يلقي المشاغبين عليه بالقوة وأن يردهم عنه بالسيف حتى

قتل.

فرد عليه الإمام بقوله: ويلك وكما فعل عثمان رأيتني فعلت عائداً بالله من شر ما تقول، والله أن الذي فعل عثمان لمخزاة على من لا دين له ولا حجة معه فكيف وأنا

(١) الايضاح ٨٦، شرح الاخبار، المغربي ١/ ١٤٣، البحار ٣٣ / ٣٤٠، المعيار والموازنة ٣٣٤.

على بيعة من ربي والحق معي، ومضى يقول: والله أن امرأً أمكن عدوه من نفسه
فنهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه.

ثم قال: أنت يا بن الأشعث كن كذلك، أما أنا فوالله دون أن اعطي ذلك
ضرب بالمشرفي يطير له فراش الرأس وتطيح منه الكف والمعاصم وتجذبه الفلاصم
ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

المؤامرات المستمرة

واستمر الأشعث وشبث بن ربعي وشمربن ذي الجوشن في إثارة الفتنة
وانتشرت مقالة الأشعث بين الناس فزادتهم تحاذلاً وتصدعاً، وأتت معاوية أن
يتصل بسراتهم ورؤسائهم أكثر من قبل، تحمل كتبه لهم الوعود والأمانى، ويقدم
بين يدي الوعود والأمانى، العطايا والصلوات يعجل لهم ما يرغبون في عاجله وما
يغري قليله المعجل بكثرة الوعود حتى اشتري ضمائرهم وأفسدهم على امامهم
وجعلهم يعطونه الطاعة بأطراف ألسنتهم ويطوون قلوبهم على المعصية والخذلان.
ومجمل القول، لقد استطاع المتآمرون من أهل العراق أن يحققوا لمعاوية كل
اطماعه وأن يشلوا حركة الإمام عليه السلام ويخلقوا له من المصاعب والمشاكل ما يشغله
عن لقاء أهل الشام مرة ثانية، فلم تنته معركة النهروان حتى ظهرت فلولهم في أكثر
من ناحية في العراق، وانمرت معركة النهروان في أهاليهم وقبائلهم أوتاراً لم يكن من
السهل نسيانها، لا سيما وأن أيدي المتآمريين ممن كانوا على صلة بمعاوية كانت
تزودهم بالأموال والعتاد فيخرج الرجل ومعه المائة والمستنان، فيضطر أمير
المؤمنين عليه السلام إلى أن يرسل اليهم رجلاً من أصحابه ومعه طائفة من الجند فيقاتل
المترددين، حتى إذا قتلهم أو شردهم عاد إلى الكوفة، وقبل أن يستقر يخرج آخر
بجماعة من المترددين، واستمرت الفتنة فخرج الخزيم بن راشد، وقد جاءه قبل
خروجه، وقال له: والله أني لا أطيعك ولا أصلي خلفك لأنك حكمت الرجال

وضعفت عن الحق.

فقال له: اذن تعصي ربك وتنكث عهدهك ولا تضر إلا نفسك، ودعاه
للمناظرة.

فقال له: أعود إليك غداً، فقبل منه وأوصاه أن لا يؤذي أحداً من الناس ولا
يعتدي على الدماء والأموال والأعراض فخرج ولم يعد، وكان مطاعاً في قومه بني
ناجية وخرج معه جماعة في ظلمة الليل والتقى في طريقه برجلين كان احدهما
يهودياً والآخر مسلماً، فقتلوا المسلم، وعاد اليهودي إلى عامل علي على السواد
فأخبره بأمرهم فكتب العامل لأمير المؤمنين فأرسل إليهم جماعة من أصحابه
وأمره بردهم إلى الطاعة ومناجزتهم إن رفضوا ذلك، وحدثت بينه وبين الخزيم
وجماعة مناظرة لم تجد شيئاً، فطلب منهم أصحاب أمير المؤمنين أن يسلموهم قتلة
المسلم فأبوا إلا الحرب، وكانت بين الطرفين معارك دامية فأرسل إليهم أمير
المؤمنين قوة أخرى.

وكتب إلى عبد الله بن العباس وكان أميراً على البصرة بأمره بملاحقتهم،
والخزيم مرة يدعي بأنه يطلب بدم عثمان، وأخرى ينكر على علي عليه السلام التحكيم
وأخيراً قُتل الخزيم وجماعة من أصحابه وأسر منهم خمسمائة قادوهم إلى الكوفة
فر بهم الجيش على مصقلة بن هبيرة الشيباني وكان عاملاً لعلي عليه السلام على بعض
المقاطعات فاستغاث به الأسرى فرق لحالهم كما تزعم بعض الروايات واشتراهم
من القائد على أن يسدد أثمانهم أقساطاً وأعتقهم، وجعل يماطل في أداء ما عليه، ولما
طالبه عبد الله بن عباس باداء المبلغ أجابه:

لو طلبت هذا المبلغ وأكثر منه من عثمان ما منعتني اياه، ثم فر إلى معاوية.

فقال الإمام علي عليه السلام فيه: فعل فعل الأحرار وفر فرار العبيد.

بذل أبو بكر وعمر وعثمان الأموال للوجهاء والولاة دون حدود ففسدوا

وأفسدوا العالم الإسلامي.

فأصبح من العسير إصلاح ما هدمه أهل السقيفة .

وأرسل معاوية بسر بن أرطاة أحد طغاته بجيش إلى اليمن فوجد طفلين صغيرين لعبيد الله بن العباس، فذبحهما في حوض أمهما، فأصابها خلل في عقلها وظلت تندبهما وتبكيهما حتى ماتت غماً وكمداً.

وأرسل معاوية جيشاً آخر لغزو مصر ليحقق لابن العاص أمنيته الغالية، وولاه قيادة ذلك الجيش، ولما بلغ أمير المؤمنين دعا أهل الكوفة لنجدة إخوانهم في مصر فلم يستجيبوا لطلبه، وبعد أن ألح عليهم أجابه جماعة منهم وما لبث أن جاءته الأنباء بأن ابن العاص قد تغلب عليها وقتل واليها محمد بن أبي بكر ومثّل به ثم أحرقه.

فانتدب مالك الأشتر وولاه عليها لانقاذها من أيدي الغزاة، وكان كما يصفه المؤرخون حازماً قوياً مخلصاً لأمر المؤمنين كما كان أمير المؤمنين لرسول الله على حد وصف الإمام وغيره.

ولما عرف معاوية نبأ اختياره حاكماً في مصر اضطرب واشتد خوفه على أنصاره وقواته المرابطة فيها، واستطاع بعد تفكير طويل أن يجد المخرج من تلك الأزمة التي أحاطت به، فأغرى أحد أنصاره ممن يسكنون الطريق التي لا بد للأشتر من المرور عليها بالمال لقاء اغتياله، ولما بلغ الأشتر ذلك المكان ونزل فيه جاءه بعسل مسموم كان قد أعده له بناء لتخطيط معاوية، فكانت به نهايته، وكان ناجحاً في التخلص من خصومه بهذا الأسلوب فقد قتل ابن خاله محمد بن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والإمام أبا محمد الحسن عليه السلام بهذا الأسلوب، وأحياناً كان يتباهى به ويقول: إن لله جنداً من العسل ينتقم به لاوليائه. واستمرت الفتنة في داخل العراق والبلاد التي كانت تخضع لسلطة أمير المؤمنين، فلم يكن يفرغ من تمرد حتى يفاجأ بآخر ولا يسد ثغرة إلا فتحت له أخرى، هذا وأصحابه بالرغم مما يجري حولهم وعلى حدود بلادهم وفي خارجها

من احتلال لبعض المقاطعات وقتل ونهب ممنون في خلافه مفرقون فيما أحبوا من طلب العاقبة إذا استنفرهم لا ينفرون وإذا دعاهم لا يجيبون يستعللون بالأعذار الواهية كحر الصيف وبرد الشتاء، ولا يغيضون لحق أو دين ولا للمشردين والمستضعفين حتى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ويبكي أحياناً على من مضى من أنصاره ويقول:

متى يبعث أشقاها فيخضب هذه من هذا مشيراً إلى رأسه الكريم ولحيته الشريفة، ويتمنى لو أن معاوية صارفه فيهم صرف الدينار بالدرهم فأخذ منه عشرة وأعطاه واحداً من أهل الشام.

ووطن نفسه أخيراً أن يخرج لحرب معاوية بمن هم على رأيه من أهله وعشيرته وأنصاره فيقاتل بهم حتى يلقي الله في سبيل الحق والعدل وتحدث إليهم حديثاً لا لبس فيه وحملهم تبعات ما سينجم عن تخاذلهم فقال لهم كما جاء في رواية البلاذري في أنساب الأشراف.

«أما أني قد سئمت من عتابكم وخطابكم فيبينوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوي فهو ما أطلب وما أحب، وإن كنتم غير غافلين فاكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوكم فتقاتلوه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين لأدعون الله عليكم ثم لأسيرن إلى عدوكم ولو لم يكن معي إلا عشرة.

ومضى يقول: اجلاف أهل الشام أصبر على نصره الضلال وأشد اجماعاً على الباطل منكم على هواكم وحقكم ما بالكم وما دواؤكم أن القوم امثالكم لا ينشرون إن قتلوا إلى يوم القيامة».

وكان على ما يبدو لهذا الموقف الحازم منه أثره في نفوس القوم بعد أن أيقنوا بأنه سيخرج بنفسه وأهله وخاصته إلى معاوية، وسيلحقهم بذلك الخزي والعار ويصبحون حديث الأجيال إذا هم تركوه يخرج على هذا الحال، فرد عليه زعماؤهم

رداً جميلاً، وجمع كل رئيس منهم قومه وتداعوا للجهاد من كل جانب وتعاقدوا على الموت معه، حتى أصبحت الحرب حديث الناس، وأرسل إلى عماله في مختلف المناطق يدعوهم للاشتراك معه بمن عندهم من الجيوش والمقاتلين، وخرج الناس إلى معسكراتهم في النخيلة ينتظرون انسلاخ شهر رمضان من سنة أربعين لهجرة النبي ﷺ.

وأرسل أمير المؤمنين زياد بن حفصة في جماعة من أصحابه طليعة بين يديه، وبقي هو مع الجيش ينتظر انسلاخ الشهر المبارك، وإذا بالقدر ينقض عليه وعلى أهل العراق فيمكن له اشق الأولين والآخرين في فجر اليوم التاسع عشر من ذلك الشهر وهو في بيت الله فيضربه على رأسه الشريف وهو يصلي لربه فيخبر منها في محرابه وهو يقول: فزت ورب الكعبة.

الحسين عليه السلام وصفين

قال هرثمة بن أبي مسلم: غزونا مع علي بن أبي طالب عليه السلام صفين، فلما انصرفنا نزل كربلاء فصلى بها الغداة، ثم رفع إليه من تربتها فشمها، ثم قال: «واها لك أيتها التربة، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب».

فرجع هرثمة إلى زوجته، وكانت شيعة لعلي عليه السلام فقال: ألا أحدثك عن وليك أبي الحسن؟ نزل بكربلاء فصلى، ثم رفع إليه من تربتها، وقال واها لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، قالت: أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقا.

فلما قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبيدالله (١) بن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث، فجلست على بعيري، ثم صرت

إلى الحسين عليه السلام، فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام فقال: معنا أنت أم علينا؟

فقلت: لا معك ولا عليك، خلفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد. قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً، ولا تسمع لنا صوتاً، فو الذي نفس الحسين بيده، لا يسمع اليوم واعتنا أحد فلا يعيننا إلا كبه الله لوجهه في جنهم (١). وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، لما نزل بسينوى وهو شط القرات: بأعلى صوته: يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟

قلت: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كيكافي. قال: فبكي طويلاً حتى اخضلت لحيته (٢) وسالت دموعه على صدره وبكىنا معه وهو يقول: أه أه مالي ولأبي سفيان مالي ولال حرب: حزب الشيطان و أولياء الكفر؟! صبرا يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم، ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله أن يصلي. ثم ذكر نحو كلامه الاول إلا أنه نعى عند انقضاء صلاته ساعة، ثم اتبه فقال: يا ابن عباس.

فقلت: ها أناذا، فقال: ألا أخبرك بما رأيت في منامي أنفا عند رقدتي؟ فقلت: نامت عينك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأني برجال بيض قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض، قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة، ثم رأيت هذه النخيل قد ضربت بأغصانها إلى الأرض، فرأيتها تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين نجلي (٣). وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث، وكان الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبرا آل الرسول فإنكم

(١) وقعة صفين ١٤.

(٢) أخضلت لحيته أي ابتلت بالدموع.

(٣) في بعض النسخ «سخلي»، كمال الدين، الصدوق ٥٣٥.

(١) الامالي، الصدوق ١٩٩، شرح النهج ٣/١٦٩، البحار ٤٤/٢٥٥.

تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، ثم يعزوني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر فقد أقر الله عينك به يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم انتهت. هكذا والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم عليه السلام، أني سأراها في خروجي إلى أهل البقي علينا وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً كلهم من ولدي وولد فاطمة عليها السلام، وأنها لي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس، ثم قال لي: يا ابن عباس اطلب لي حولها بعز الطباء، فوالله ما كذبت قط وهي مصفرة لونها.

قال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها بمجموعة فناديته يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي، فقال علي عليه السلام: صدق الله ورسوله ثم قام يهرول إليها فحملها وشمها وقال: هي هي بعينها، تعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعاد؟ هذه قد شمها عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك أنه مرّ بها ومعه الحواريون فرأى هذه الطباء بمجموعة فأقبلت إليه الطباء وهي تبكي فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون، فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟

قالوا: لا. قال عليه السلام: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد وفرخ الحرة الطاهرة^(١) البتول شبيهة أمة ويلحد فيها وهي أطيب من المسك وهي طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الانبياء وأولاد الانبياء، فهذه الطباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض، ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران^(٢) فشمها فقال: هذه بعز الطباء على هذه

(١) في بعض النسخ الخيرة الطاهرة.

(٢) جمع الصور - ككتاب - وهو القطيع من البعر أو المسك وقال في القاموس: الصور: النخل الصغار، والصيران: المجتمع. والمراد بالصيران هنا المجتمعة من أبعاد الطباء.

الطيب لمكان حشيشها، اللهم أبقيها أبداً حتى يشمها أبوه فتكون له عزاء وسلوة. قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا وقد اصفرت لطول زمنها هذه أرض كرب وبلاء. وقال بأعلى صوته: يا رب عيسى بن مريم لا تبارك في قتلته والحامل عليه والمعين عليه والحاذل له. ثم بكى بكاءً طويلاً، ثم أفانق فأخذ البعر فصهرها في رداً وأمرني أن أصرها كذلك، ثم قال: يا ابن عباس إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل ودفن بها.

قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أحفظها أكثر من حفطي لبعض ما افترض الله عليّ. وأنا لا أحلها من طرف كمي، فبينما أنا في البيت نائم إذ انتهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً وكان كمي قد امتلات دماً عبيطاً، فجلست وأنا أبكي وقلت: قتل والله الحسين والله ما كذبني علي قط في حديث حدثني ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك لان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره، ففزعت وخرجت وذلك (كان) عند الفجر فرأيت والله المدينة كأنها ضباب^(١) لا يستبين فيها أثر عين، ثم طلعت الشمس فرأيت كأنها كاسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باك وقلت، قُتل والله الحسين، فسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول: اصبروا آل الرسول قُتِل الفرخ النحول^(٢).

منزلة الحسين عليه السلام

ذكر المحب الطبري^(٣) أن جمعاً تذاكروا أنه ما من أحدٍ أعان على قتل الحسين عليه السلام إلا أصابه بلاء قبل أن يموت، فقال شيخ: أنا أعنت وما أصابني شيء،

(١) كمال الدين ٥٣٦.

(٢) الأمالي، الصدوق ٦٩٦، البحار ٤٤ / ١٥٤، كمال الدين، الصدوق ٥٣٥.

(٣) الذخائر ص ١٤٥ وقال: خرّجه ابن الجراح، وذكره ابن حجر في صواعقه ١١٦ باختلاف في اللفظ.

فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل ينادي النار النار، وانغمس في الفرات ومع ذلك فلم يزل به حتى مات (١).

وجاء في الحديث من زار قبر الحسين عارفاً بحقه كتب الله له في عليين وحول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعنا غبراً بيبكون عليه إلى يوم القيامة (٢).

النبي ﷺ يلعن يزيداً ويخبر بقتلة الحسين عليه السلام

قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدّق عليه السلام يقول: هلكت أمتي على يدي غلظة من قريش. فقال مروان: لعنة الله عليهم غلظة.

فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفلعت، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رأهم غلباناً أحداً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم (٣).

يقول الشارح ابن حجر العسقلاني (٤): إن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا أماراة الصبيان (قال الشارح): وفي هذا إشارة إلى أن أول الأغيلمة كان في سنة ستين، وهو كذلك فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقي إلى سنة ٦٤ هـ فمات ثم ولي ولده معاوية ومات بعد أشهر (وقال الشارح أيضاً): إن أول هؤلاء الغلمان يزيد كما دل عليه قول أبي هريرة سنة ستين وأماراة الصبيان (ثم قال الشارح): تنبيه، يتعجب من لعن مروان الغلظة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولده، فكان الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في

(١) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٠٦ رقم ٦١٥، ذخائر العقبى ١٤٥، الصواعق المحرقة ١٩٥، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق ٢٥٣ ح ٣١٤.

(٢) مقتل الحسين، الخوارزمي ١٦٩ / ٢.

(٣) صحيح البخاري ج ٩ كتاب الفتن.

(٤) فتح الباري ١٣ / ٧ و ٨.

الحجة عليهم لعلهم يتعظون، وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد (١).

رسالة الحسين عليه السلام إلى معاوية

كتب معاوية رسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام فأجابه ولأهية الرسالتين نذكرهما: وإليك نص ما كتب معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد انتهت إليّ منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطي بيعته من كان مثلك في خطرک وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واثق الله، ولا تردنّ هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفّتك الذين لا يوقنون.

فكتب إليه الحسين عليه السلام: «أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وإنّ الحسنات لا يهدي لها ولا يسدّد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنّه رقي إليك عني، فإنما رقاها الملاقون المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاؤون المارقون، ما أردت حرباً ولا خلافاً، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحليين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم. أُلست قاتل حجر وأصحابه العابدين المحبّين الذين كانوا يستفطعون البدع، ويأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكّدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده. أولست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال. أولست المدّعي زياداً في الإسلام، فزعمت أنّه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله ﷺ أنّ

(١) صحيح البخاري ٦ / ٢٥٨٩ ح ٦٦٤٩، المستدرک علی الصحیحین ٤ / ٥٢٦ ح ٨٤٧٦، فتح الباري ١٣ / ٨٧.

الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سَاطَنَه على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان الله يامعاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجسّم الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منّة عليكم، وقلت فيما قلت: لا تردّن هذه الأمة في فتنة. وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها. وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد. وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قرابة إلى ربي، وإن لم أفعله فاستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى. وقلت فيما قلت:

متى تكفني أكذك، فكفني يامعاوية فيما بدا لك، فلعمري لقد بدأ يكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضرّ، إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك، فكفني ما بدا لك، واتق الله يامعاوية! واعلم أن الله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صيباً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية والسلام^(١).

ترجمة مروان الخطيرة

أما مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ فقد قتل طلحة بن عبيدالله في معركة الجمل بدم عثمان وقتل معاوية الثاني والوليد بن عتبة بن أبي سفيان وقبض على الحكم فلم يحكم إلا قليلاً^(٢).

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٨٠، البحار ١٠/ ١٠١.

(٢) الصواعق المحرقة ٢٢٤، تاريخ يعقوبى ٢/ ٢٥٤.

إذ دام حكمه سنة أشهر فقط وكان الإمام علي عليه السلام قد قال عن مروان بعدما حرّره من الأسر: إن له إمرة كلعة الكلب أنفه^(١).

وأخرج الحاكم^(٢) من طريق عبد الرحمن بن عوف وصححه أنه قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتى به إلى النبي ﷺ فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون.

وذكر الدميري^(٣) ولعلّ معاوية أشار إليه بقوله لمروان: يا بن الوزغ لست هناك^(٤). وأخرج ابن النجيب من طريق جبير بن مطعم قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فرّ الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ: ويل لأمتي ممّا في صلب هذا^(٥).

وقال المعتزلي^(٦): نظر علي عليه السلام يوماً إلى مروان فقال له: ويل لك وويل لأمة محمد منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك.

وفي لفظ ابن الأثير: وملك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. قال أمير المؤمنين^(٧): أو لم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنهما كف يهودية لو بايعني بيده لغدر بسبته، أما إن له إمرة كلعة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة^(٨) وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر «نهج البلاغة».

(١) مجمع البحرين، الطريحي ٤/ ١٢٤، نهج البلاغة ١/ ١٢٢، البحار ٣٢/ ٢٢٥، شرح النهج

٢/ ٥٣، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠ ط ليدن.

(٢) المستدرک ٤/ ٤٧٩.

(٣) حياة الحيوان ٢/ ٣٩٩، وابن حجر في الصواعق ١٠٨، والحلي في السيرة ١٦٣٣٧

(٤) ذكره ابن أبي الحديد ٢/ ٥٦.

(٥) أسد الغابة ٢/ ٣٤، الإصابة ١/ ٣٤٦، السيرة الحلبية ١/ ٣٣٧، كنز العمال ٦/ ٤٠.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٥٥ نقلاً عن الاستيعاب

(٧) أسد الغابة ٤/ ٣٤٨، ورواه ابن صساكر بلفظ آخر كما في كنز العمال ٦/ ٩١.

(٨) هم بنو عبد الملك: الوليد، سليمان، يزيد، هشام. كذا فسره الناس وعند ابن أبي الحديد

هم أولاد مروان: عبد الملك، بشر، محمد، عبد العزيز.

قال ابن أبي الحديد^(١): قد روي هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب « نهج البلاغة » وهي قوله عليه السلام في مروان: يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه وإن له امرأة. الخ^(٢).

قال: قال علي بن أبي طالب يوماً ونظر إليه: ليحملن راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه، وله امرأة كلحسة الكلب أنفه.

وهذا الحديث كما ترى غير ما في « نهج البلاغة » وليس كما حسبه ابن أبي الحديد زيادة فيه، ولا توجد تلك الزيادة في رواية السبط أيضاً في تذكرته ص ٤٥. والله العالم. قال البلاذري^(٣): كان مروان يلقب خيط باطل لدقته وطوله شبه الخيط الأبيض الذي يرى في الشمس، فقال الشاعر ويقال: إنه عبدالرحمن بن الحكم أخوه:

لعمرك ما أدري وإني لسائل حليمة مضروب القفا كيف يصنع^(٤)
لحى الله قوماً أمروا خيط باطل على الناس يعطي ما يشاء ويمنع^(٥)
وذكر البلاذري^(٦) في مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبدالملك بن مروان ليحيى بن سعيد أخى الأشدق قوله:

غدرتم بعمرى يابني خيط باطل ومثلكم يبني البيوت على الغدر
وذكر ابن أبي الحديد^(٧) لعبدالرحمن بن الحكم في أخيه قوله:

(١) شرح النهج ٢ / ٥٣.

(٢) هذه الزيادة أخذها ابن أبي الحديد من ابن سعد ذكرها في طبقاته ٥ / ٣٠ ط. ليدن.

(٣) الأنساب، البلاذري ٥ / ١٢٦.

(٤) أشار بقوله: مضروب القفا إلى ما وقع يوم الدار، فإن مروان ضرب يوم ذلك على قفاه كما يأتي حديثه في الجزء التاسع إن شاء الله تعالى.

(٥) ورواهما وما قبلهما ابن الأثير في أسد الغابة ٤ / ٣٤٨.

(٦) الأنساب، البلاذري ٥ / ١٤٤.

(٧) شرح النهج ٢ / ٥٥.

إذن بين الله تعالى حكمته وعلمه للغيب لرسوله عليه السلام، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا إلى وصيته عليه السلام.

سؤال معاوية من الإمام علي عليه السلام عن الغيب

كشف من كتاب لطف التدبير لمحمد بن عبد الله الخطيب قال: حكي أن معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة: كيف لنا أن نعلم ما تؤول إليه العاقبة في أمرنا؟ قال جلساؤه ما نعلم لذلك وجهاً.

قال: فأنا استخرج علم ذلك من علي صلوات الله عليه فإنه لا يقول الباطل فدعا ثلاثة رجال من ثقاته وقال لهم: امضوا حتى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة ثم تواطؤوا على أن تنعوني بالكوفة وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلة واليوم والوقت وموضع القبر ومن تولى الصلاة علي وغير ذلك حتى لا تختلفوا في شيء ثم ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي ثم ليدخل الثاني فيخبر بمثله ثم^(١) ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبيه وانظروا ما يقول علي.

فخرجوا كما أمرهم معاوية ثم دخل أحدهم وهو راكب مغذ شاحب فقال له الناس بالكوفة: من أين جئت؟

قال: من الشام. قالوا له: ما الخبر؟ قال: مات معاوية، فأتوا علياً عليه السلام فقالوا:

جاء رجل راكب من الشام يخبر من موت معاوية.

فلم يحفل علي عليه السلام بذلك ثم دخل الآخر من الغد وهو مغذ فقال له الناس: ما

(١) رواه علي بن عيسى الإربلي في أوخر عنوان: « ذكر كراماته وما جرى على لسانه من إخباره بالمغيبات » من كتاب كشف الغمّة: ١ / ٢٨٤ ط بيروت. ورواه بتفصيل أكثر المسعودي في آخر ذكره شهادة الإمام أمير المؤمنين متصلاً بعنوان: « ذكر لمع من كلامه وأخباره ... » من كتاب مروج الذهب ٢ / ٤٣٠ ط مصر. ورواه أيضاً عن جماعة صاحب عبقات الأنوار في الوجه ٣٨ من قدحه في حديث: « أصحابي كالتجوم ... » من حديث الثقلين من كتاب العبقات ٧٥٨ ط إصفهان.

الخبر؟ فقال: مات معاوية وخبرٌ بمثل ما خبر صاحبه فأتوا علياً عليه السلام.

فقالوا: رجل راكب يخبر بموت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه ولم يختلف كلامها. فأمسك علي عليه السلام. ثم دخل الآخر في اليوم الثالث فقال الناس: ما وراؤك؟ قال: مات معاوية. فسألوه عما شاهد فلم يخالف قول صاحبيه فلما كثروا عليه قال علي صلوات الله عليه كلاً أو تخضب هذه من هذه يعني لحيته من هامته ويتلاعب بها ابن آكلة الاكباد فرجع الخبر بذلك إلى معاوية (١).

فعرف معاوية وأصحابه ان علياً عليه السلام يقتل قبل معاوية ففرحوا بذلك.

والمدهش انهم يؤمنون بأقوال الإمام علي عليه السلام في الغيب ايماناً كاملاً على انها من علوم الله تعالى، ومع هذا يخالفون الإمام ويسعون لقتله والتأمر عليه!

الدلائل والعبر في معركة صفين

القاسطون جاء فيهم في القرآن الكريم قوله:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾.

﴿وَأَنَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

قال الفراء هم الكافرون الجاثرون.

والقاسطون أتباع معاوية في صفين لأنهم جاروا في الحكم وبغوا عليه (٢).

فالجن أفصح عن وجود القاسطين في صفوفها همهم البغي وغايتهم الفساد في الأرض وكذلك كان أتباع معاوية وابن العاص.

وجعلهم الله سبحانه وتعالى في جهنم حطباً لها.

وذكرهم رسول الله ﷺ قبل معركة صفين بثلاثين سنة أخذاً ذلك من علوم غيب الله تعالى إذ قال لأمر المؤمنين علي عليه السلام: ستقاتل الناكثين والقاسطين

(١) البحار ٣٣ / ٢٧٩.

(٢) تاج العروس، الزبيدي ٥ / ٢٠٥.

قضية التحكيم والاتفاق السري بين معاوية والأشعث على وقف القتال

والمارقين (١). والتفت إلى عمّار بن ياسر قائلاً ستقتلك الفئة الباغية.

فبقي المؤمنون منتظرين لهذه المعارك الحاسمة تحت راية أمير المؤمنين علي عليه السلام وعلى رأسهم عمّار وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري.

وسمع هذه الأحاديث النبوية عن الناكثين والقاسطين والمارقين (٢) عائشة وحفصة وعبيد الله بن عمر ومعاوية وابن العاص فكلوا الفريقين أصراً على موقفه اعتماداً على منهجه في الحياة فعمّار شرب اللبن يوم من أيام حرب صفين وتذكر قول النبي ﷺ له وأخر شرية لك من الدنيا قعباً من لبن.

فلم يهتد معاوية من سيرة رسول الله ﷺ في مكة ولم يراجع نفسه بعد إسلامه في فتح مكة قهراً.

بل بقي مصراً على منهجية اللات والعزى وترهات طغاة مكة وخزعبلات المغيرة وابن العاص وكعب الأخبار.

فعاش معاوية ٧٨ سنة في المكر والاحتتيال والدهاء فلم ينقذ نفسه من الموت. ورتب جموعاً عظيمة من شذاذ الآفاق وجمع كنوز الهند والعراق وايران ومصر فلم تنفعه في ظلمات القبر.

وأكل أكلاً لم يأكله غيره من البشر لدعاء النبي ﷺ عليه:

«اللهم لا تشعب بطنه».

فهم مخ العصافير في مصارين البط وأكل خمسة وجبات لحوم يومياً فربى بطناً لم يمتلكها غيره، فكان يضعها على فخذه في الجلوس فسمي بالبطين.

(١) المستدرک، الحاكم ٣ / ١٥٠، كفاية الطالب ١٦٨.

(٢) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنزي ٦٩، كنز العمال ٦ / ١٥٤،

الاستيعاب ٣ / ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩،

المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٩، أسد الغابة ٤ / ١١٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، فرائد السمطين ١

/ ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

ومن دهائه اعطائه حكم المسلمين لابنه السكّير المتهور المعلن للفسق والفجور يزيد فتحمل الخطب الإلهي حياً وميتاً لقصور عقله وضعف حكته .

فأصبحت مذبحة كربلاء ومجزرة الحرّة ومحرقه الكعبة الشريفة في صحيفة أعماله . والغافلون من المؤرخين يصفونه بالحلم والعقل ، فقالوا يسكته الحلم وينطقه العلم فقال الحسين بل ينطقه البطر ويسكته الحصر (١) .

ولمّا وصل حفيده معاوية بن يزيد بن معاوية إلى الحكم فضحه وفضح المعينين له في مكانه والمؤيدين له في حركة استراتيجية عقلانية سحبت البساط من تحت أرجل الأمويين . فقد وقف في خطبة صلاة الجمعة العظيمة يسمعه كثير من جند معاوية في صفين (التاسطين) ووزرائه قائلاً: (٢)

وهكذا سقطت نظرية معاوية في احتكار السلطة في نسله فقتل الله تعالى يزيد الظالم وقتل مروان بن الحكم معاوية الثاني وقتل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فانتقلت السلطة من بيت أبي سفيان إلى بيت طريد رسول الله ﷺ مروان بن الحكم .

وقال معاوية الثاني في خطبة تنازله عن السلطة: «ان هذه الخلافة جبل الله وان جدى معاوية نازع الامر أهله ومن هو أحق به منه على بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهينا بذنوبه ثم قلد أبي الامر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله ففُصِف عمره وابتتر عقبه وصار في قبره رهينا بذنوبه . ثم بكى وقال: من اعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وبؤس منقلبه وقد قتل عتره رسول الله وأباح الخمر وخرب الكعبة ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارتها فشانكم أمركم ، والله لئن كانت الدنيا خيراً لقد نلنا منها حظاً ولئن

(١) البحار ٣٣ / ٢١٩ .

(٢) حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ٨٩ / ٢ ، مروج الذهب ، المسعودي ٧٢ / ٣ - ٧٣ ، تاريخ الخلفاء ، السيوطي ص ٢٤٦ ، البداية والنهاية ٢٦١ / ٨ .

كانت شرأفكفي ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها . ولما نزل من مكانه قتله الامويون وعلى رأسهم مروان بن الحكم (١) .

فمروان الرجل المطرود من المدينة المنورة في زمن حكم النبي ﷺ وأبي بكر وعمر أصبح حاكماً على المسلمين السابقين يقتلهم كيفما شاء ويعدّهم مثلما يحلوه . وهذا ناتج عن الفتنة السياسية النابعة من مسرحية السقيفة .

فهذه اللعبة السياسية أكلت المشتركين فيها جميعاً .

فقد قُتِل أبو بكر بيد عمر وعثمان (٢) . وقُتِل عمر بيد الأمويين والمغيرة .

وقُتِل عثمان بفتوى عائشة وسيوف طلحة والزبير وثوار المسلمين في المدينة والبصرة والكوفة ومصر . وقتل خالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وعائشة وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله بيد رجال السقيفة أنفسهم (٣) .

فسقطت نظرية أعضاء السقيفة في أبعاد السلطة عن أهل البيت ﷺ وإنحصارها لهم ولأولادهم . فقد قتل معاوية عمرو بن العاص وطرده ابنه عبدالله من السلطة بعدما تعهد له معاوية باعطائه مصر له ولأولاده طعمة مدى الحياة (٤) .

وقتل معاوية كل من ينافس يزيد على الزعامة لإيقانها في نسله .

ولم يمض على موت معاوية في سنة ٦٠ هجرية إلا ثلاث سنوات حتى ذهب السلطة إلى يد أعدائهم من البيت المرواني .

وأخبر النبي ﷺ وعلي عليه السلام علوم الغيب للمؤمنين منها مقتل عمار في صفين

(١) الصواعق المحرقة ٢٢٤ ، تاريخ يعقوبى ٢ / ٢٥٤ .

(٢) راجعه كتاب اغتيال ابي بكر للمؤلف .

(٣) راجع كتاب نظريات الخلفيتين للمؤلف ، باب الولاية .

(٤) الفارات ٢ / ٧٤٨ ، شرح النهج ٢ / ٧٠ ، ذكر أخبار أصفهان ١ / ٧٧ ، صفين ٤٤ ، جواهر

المطالب ١ / ٣٦٨ ، التجوم الزاهرة ، الأتابكي ١ / ٦٣ .

ومقتل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي بيد معاوية ورغم هذا فعل جند معاوية كل المواقف عناداً منهم للباري عز وجل دون الاعتبار بتجارب الماضين من الأمم الذين أهلكهم الله تعالى بظلمهم وجورهم .

أما الخوارج الذين خرجوا على إمام زمانهم عليه السلام في صفين وعاثوا في الأرض فساداً وقتلوا المؤمنين فقد استمرّوا في برنامجهم القائم على الفوضى .

فبيّن الإمام عليه السلام كيفية التعامل معهم والرفق بهم بقول الامام: ليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فأدرکه (١).

ونستفيد من قضية معركة صفين الكثير من الدلائل والعبر:

الاولى خطورة الفتنة في السيرة الإسلامية فقال الله تعالى:

﴿الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ .

لان القتل يضر في جوانبه قضية قتل جسدي لشخص من الاشخاص أما الفتنة فهي مشروع جاهلي خطير في تمزيق وحدة الامة واضعاف دينها وازهاق نفوسها وتخريب تراثها .

فقتل النفس عملية صغرى والفتنة عملية كبرى . والذي حدث في عصر عثمان ومعاوية تمثل في فتنة عظمية كلف العالم الإسلامي غالياً وما زالت هذه الامة تأنّ من ضروب تلك الواقعة المرّة .

وتلك الفتنة نبتت من سقيفة بني ساعدة يوم خالف المسلمون النص النبوي على خلافة الإمام علي عليه السلام وبايعوا أبابكر واستمروا في نهجهم المذكور مع عمر وعثمان . فتوسعت الفتنة تدريجياً وكلما حذرهم أمير المؤمنين علي عليه السلام كلما توغلوا في غيهم وانحرفهم . فانتهت تلك السقيفة بثورة شعبية قتل فيها الناس عثمان ودقنوه في مقبرة اليهود . وما كان لهذه الفتنة أن تنتهي سريعاً فسارع معاوية للاستفادة منها

(١) نهج البلاغة ١/ ١٠٨، علل الشرائع، الصدوق ١/ ٢١٨، البحار ٣٣/ ٤٣٤ .

وحلبها . فأثرت في ثقافة الناس .

وتوسعت تأثيرات الفتنة وجرى الناس خلف اهوائهم وملذاتهم فقبل بعض الكوفيين رشوة معاوية وتقاعدوا عن الحرب .

وظهرت طائفة الخوارج البعيدة عن الدين . والموضوع الآخر تمثل في استمرار المناقنين بقبول قيادة معاوية بن أبي سفيان العدو للإسلام .

ففي معارك الحندق حمل أبو سفيان ومعاوية راية الكفر وفي معركة صفين رفع معاوية راية الفسق والظلم مما يبين عدم تأثر هؤلاء بالحركة الإسلامية الرائدة واستمرار تبعيتهم للظلم والاستبداد الجاهلي .

ومن العبر ان حركة القراء البعيدة عن تفسير القرآن أوجدتها عمر بن الخطاب في البصرة بمساعدة أبي موسى الأشعري .

فكانت حركة مشبوهة بعيدة عن العلم والاخلاق أثمرت عن مجاميع من القراء لا يفهمون الدين ولا يتخلقون باخلاقه .

وكان عمر قد منع تفسير القرآن وعاقب السائلين عنه وأبعد أهل البيت عن السياسة والدين بنظريته المعروفة: حسبنا كتاب الله (١) .

فأصبح بعض هؤلاء القراء خوارج .

واصبح أبو موسى الأشعري (مربي القراء) حكماً من قبلهم فادخل الامة في فتنة عمياء خاصة وانه من المناقنين المعروفين في خلد الصحابة (٢) .

فأثمرت مجموعة من القضايا في اضعاف الدين، وهذه المؤثرات تتمثل في: مسرحية السقيفة ومكيدة منع تدوين الحديث النبوي ومنع التفسير القرآني وابعاد أهل البيت عن المرجعية الدينية والسياسية . وعملية الجيء باعداء الدين إلى

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤٩٠، صحيح مسلم ١١/ ٨٩ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٣، كتاب المفارحات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٣ ط دار الفكر ١٣٨٨هـ، المحلّي، ابن حزم الأندلسي ١١/ ٢٢٥ .

السلطة مثل الامويين وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الله بن أبي ربيعة (والي اليمن من قبل عمر) وعبدالله بن أبي سرح (والي أفريقيا من قبل عثمان) والاشعث والي عثمان على أذربيجان^(١) وعكرمة بن أبي جهل (والي أبي بكر على عمان).

واستمرت مؤامرات رجال السقيفة فاغتالوا رسول الله ﷺ وفاقطمة عليها السلام وباقي الصحابة فانتشر فن الاغتيال فقتلوا أبابكر وعمر وغيرهم ثم استفحل القتل فاستخدمه معاوية في اغتيال أمير المؤمنين علي عليه السلام في محراب مسجد الكوفة^(٢). ولو سمح عمر بتولية علي في السقيفة لما حدث هذا رغم اعتراف عمر وقوله: والله لأن وليتهم لتحملتهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء^(٣).

وقال المستشرق «اوسليتز»: لو أنه سمح لعلي أن يحكم بسلام لكانت فضائله وصرامته، وسمو خلقه هي التي خلّدت الجمهورية القديمة وأساليبها البسيطة^(٤).

وجاء في كتاب «إطال الباطل» للفضل بن روزهان الأشعري: أن عمر بن الخطاب قال: «لو وليها علي حملهم على الحق الذي لا يطيقونه». وإذا كان الناس لا يطيقون الحق فكيف أطاقوا حكم الخليفة الثاني أكثر من عشر سنين؟! وهل تحمّل الناس حكمه وحكم معاوية، لأنهم يطيقون الباطل، ولا يطيقون الحق؟!^(٥).

(١) أسد الغابة ١ / ١١٨، المنتظم ٥ / ٩٥، العقد الفريد ٤ / ٣٠٧.

(٢) راجع موضوع اغتيال الإمام علي عليه السلام في هذا الكتاب.

(٣) كتاب «السفانية» للجاحظ، انظر أعيان الشيعة ٣ / ٣٣٢ القسم الأول طبعة ١٩٦٠.

(٤) كتاب «روح الإسلام» السيد مير علي ٦٢٧.

(٥) الكافي، الكليني ٨ / ٢٤، شرح النهج ١ / ٢٨، تحف العقول ٩٩، مكاتيب الرسول، الأحمدي ١ / ٦٢١، البحار ١٧ / ٧٩.

فهرس الكتاب

الباب الأول :	٣
علاقة الامام - معاوية	٣
الفصل لأول : من هتأ الارضية لحكم معاوية ؟	٥
رسالة معاوية إلى الإمام عليه السلام	٧
جواب الإمام عليه السلام إلى معاوية	٩
الإمام عليه السلام يفصح عن مظلوميته	١١
ابن العاص ومعاوية : علي عليه السلام كالنجم في الثريا	١٢
لماذا أصر الإمام عليه السلام على عزل معاوية ؟	١٣
رسائل الإمام إلى الأشعري ومعاوية	١٧
مطامع معاوية في الشام ومصر	٢١
القدرة العسكرية الهائلة لمعاوية من وراؤها ؟	٢٢
دعاء النبي ﷺ على معاوية	٢٥
الفصل الثاني معركة صفين	٢٧
معجزة الماء في صفين	٢٧
منع معاوية الماء عن الامام وجنده في صفين	٣٠
وقت المعركة	٣٣
أعظم معركة بين المسلمين أججها معاوية	٣٦
بداية الحرب	٣٦
ليلة الهريير	٣٨
انتصار جيش العراق	٤٠

٨٤	المؤامرات المستمرة
٨٨	الحسين <small>عليه السلام</small> وصفين
٩١	منزلة الحسين
٩٢	النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> يلعن يزيدا ويخبر بقتلة الحسين <small>عليه السلام</small>
٩٣	رسالة الحسين <small>عليه السلام</small> إلى معاوية
٩٤	ترجمة مروان الخطيرة
٩٧	سؤال معاوية من الإمام علي <small>عليه السلام</small> عن الغيب
٩٨	الدلائل والعبر في معركة صفين

٤٠	شدة الحرب والمعجزات
٤١	عدد ما قُتل في صفين؟
٤٢	بطولة علي <small>عليه السلام</small> في صفين
٤٨	من كشف عورته من الفساق
٥٢	اعتراف جندي معاوية بالحسران المبين في صفين
٥٣	أحقاد بدرية وأحدية وحنينية وخيرية
٥٥	هل قتل علي <small>عليه السلام</small> عقبة اليهودي صبراً أم في معركة بدر؟
٥٦	النبا العظيم
٥٦	شدة الحرب والمعجزات
٥٧	مع من كان الصحابة في صفين؟
٥٨	أخلاق الإمام <small>عليه السلام</small> الحربية في صفين
٥٩	النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> : أنت تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين
٦٤	رفع المصاحف
٦٦	الفصل الثالث: قضية التحكيم
٦٦	الاتفاق السري بين معاوية والأشعث على وقف القتال
٧٠	عدم اعتناء الخوارج بالعهود
٧١	كلمة الإمام <small>عليه السلام</small> بعد قضية الحكيم
٧٣	مواقف الأشعري
٧٣	النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> يحذر الأشعري
٧٤	لماذا لم يتفق ابن العاص والأشعري على شخص؟
٧٥	دسانس الحكيم في الخفاء!
٧٩	فتنة الأشعث وإعادته الخوارج إلى معارضتهم
٨٢	مقتل الخدج



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله من جملة ما انعم الله تعالى على العالم البخّاءة المحقق
نجاح الطائي ان وفقه لتأليف كتب كثيرة كشف النقاب فيها عن
أحداث مختلقه و جنایات صدرت من سلاطين الجور تمكنوا من
سترها ١٤٠٠ سنة بمساعدة المؤرخين و المحدثين و الرجاليين
فأحدثت أصداءً قوية في العالم على رأسها :
عدم حضور ابي بكر في الغار، و شهادة النبي (ص)، و اغتيال ابي بكر
و حكومته، و كذب مذابح اليهود بيد البابليين، و كذب مقتل أسرى يهود
بني قريظة بيد رسول الله (ص).

آية الله ابراهيم الانصاري الخونيني

رمضان ١٤٢٤